الباب الثانى

القاهرة الحديثة

قصر النيل : من الاستقلال للاحتلال .. والعكس !!

شارع قصر النيل ـ أشهر شوارع وسط القاهرة ـ يكاد يكون الشارع الوحيد الذى لم يتغير اسمه ، لأنه فعلاً شارع له تاريخ . وصفحة من صفحات تاريخ مصر . تعالوا نروى حكاية هذا الشارع . . أقصد نطالع صفحة من صفحات كتاب تاريخ مصر .

** يعتبر القائد العظيم ابراهيم باشا ـ ابن محمد على الكبير ـ أول من فكر فى تعمير المنطقة الممتدة الآن من « كوبرى أبو العلا » شمالاً إلى ما بعد كوبرى قصر النيل جنوبًا . عندما أمر بتمهيد تلك الأرض وردمها وتسويتها . . كجزء من تجميل الشاطىء الشرقى لنيل العاصمة . .

وكجزء من اهتمام سعيد باشا رابع ولاة مصر من الأسرة العلوية بالجيش والبحرية . وكما أنشأ قلعة عسكرية فى القناطر الخيرية ، أنشأ ثكنات للجيش المصرى فى منطقة قصر النيل هذه . وكانت هذه بداية أكبر حركة تعمير فى هذه المنطقة . مما لفت الانتباه إلى المنطقة الواقعة غرب القاهرة . . وهى الأساس الذى تحرك عليه إسماعيل باشا .

وبعد أن تولى إسماعيل باشا حكم مصر ، أمر بالتوسع فى تعمير المنطقة الممتدة من شاطىء النيل عند ثكنات الجيش إلى باب اللوق ، وكلف كبير مهندسى مصر على باشا مبارك بتحويل تلك المنطقة إلى واجهة حضارية للعاصمة فاختار ٦١٧ فدانًا للحى الجديد وكان بعضها مازال أراضى خربة تحتوى على كثبان من الأتربة وبرك للمياه وأرض سباخ ، فخططها وأنشأ فيها الشوارع والحارات على خطوط مستقيمة أغلبها متقاطع على زوايا قائمة ودكت شوارعها وحاراتها بالحجر الدقشوم . ونظمت على جوانبها الأرصفة . ومدت فى أرضها أنابيب المياه وأقيمت فيها أعمدة المصابيح لإنارتها بغاز الاستصباح ، فأصبحت كما قال على باشا مبارك « من أبهج أخطاط القاهرة وأعمرها وسكنها الأمراء والأعيان » .

القائد ابراهيم باشا أول من فكر فى تعمير المنطقة بين« كوبرى أبو العلا» [الآن]
وكوبرى قصر النيل [منطقة ماسبيرو] .

** وبعد الانتهاء من رصف الشوارع والأرصفة قام الخديو إسماعيل بمنح الأرض للذين سوف يشيدون المبانى بشرط ألا تقل تكلفة العمارة عن ٢٠٠٠ جنيه ـ بهدف بناء عمارات كبيرة عصرية . وفى عام ١٨٧٤م بلغت المساحة التى شغلت بالمبانى ٢٥٧ فدانًا احتلت شبكة الطرق منها ٣٠٪ وشغلت المبانى ١٣٪ واحتلت الباقى حدائق شاسعة تمثل الاحتياطى للتوسع العمرانى . وهكذا ظهرت شوارع : قصر النيل . سليمان باشا . قصر العينى . . وبلغ طول شارع قصر النيل مثلاً ١٢٥٠ مترًا وشارع الفلكى ١٢٦٠ مترًا وشارع عماد الدين ١٧٢٠ مترًا .

** وكجزء من خطة التعمير هذه كلف الخديو إسماعيل شركة فيف ليل الفرنسية بإنشاء كوبرى معدنى لتسهيل الوصول إلى الجزيرة الواقعة على الضفة اليسرى للنيل وتم إنشاء الكوبرى عام ١٨٧٢ وتكلف ١٠٨ آلاف جنيه « فقط !! » وفى نفس العام أنشأت شركة انجليزية كوبرى البحر الأعمى « الجلاء حاليًا » يوصل الجزيرة بالجيزة ليكمل هذا المحور المرورى الهام . وتكلف الكوبرى ٤٠ ألف جنيه « يا بلاش » .

** وبعد أن كانت شبرا هى متنزه سكان العاصمة ، وبعد إنشاء كوبرى قصر النيل ـ الذى حمل اسم كوبرى الخديو إسماعيل ـ تحول الناس إلى الكوبرى الجديد وما يليه من قصور وحدائق وطرق ومناظر إلى منطقة النزهة الأولى . وخف سير المركبات التى كانت تقطع شارع شبرا عصر كل يوم للنزهة !!

** ثم أمر الخديو إسماعيل بنقل المدرسة الحربية التى أنشأها سعيد باشا فى القناطر الخيرية إلى ثكنات قصر النيل لزيادة تعميرها .

وإذا كان الشارع الممتد من كوبرى قصر النيل إلى باب اللوق قد حمل اسم « شارع الخديو إسماعيل » فإنما كان ذلك بهدف ربط الثكنات والميدان الجديد الذى حمل أيضًا اسم إسماعيل بقصر عابدين الذى بناه الخديو ونقل إليه مقر الحكم بعد أن ظلت مصر تحكم من القلعة قرونًا عديدة . . وهو الشارع المعروف الآن باسم شارع التحرير قبل امتداده من كوبرى الجلاء إلى الدقى ثم إلى بولاق الدكرور بعد أن يعبر منطقة المركز القومى للبحوث . . وحمل الشارع الثانى اسم سليمان باشا الفرنساوى الضابط الذى

كوبرى قصر النيل القديم أول كوبرى معدنى فى مصر وكان الناس يدفعون رسوماً لعبوره .

كوبرى قصر النيل القديم عند افتتاحه عام ١٨٧٢
وعلى يمين الصورة جانب من ثكنات قصر النيل .

عمل بجيش بونابرت ثم أصبح رئيسًا لأركان جيش مصر أيام محمد على باشا . . ثم شارع قصر النيل الممتد الآن من ميدان التحرير إلى شارع الجمهورية بعد أن يعبر ميدان سليمان باشا . .

«وقصر النيل» ليس مجرد شارع تم دكه بالحجر الدقشوم على يد كبير مهندسى مصر على باشا مبارك بتكليف من الخديو إسماعيل خامس حكام مصر الحديثة . وليس هو مجرد ثكنات للجيش ومدرسة حربية . . ولكنه قطعة من تاريخ مصر . هو ثكنات للجيش وكوبرى وشارع وتخطيط عمرانى . . وهو تاريخ سياسى !!

. . فمن الجانب العسكرى تحولت ثكنات قصر النيل إلى مقر رسمى لقوات الجيش المصرى . ولعبت دوراً سياسياً خلال أحداث الثورة العرابية . خصوصاً وأنها كانت على مرمى حجر من مقر الحكم الجديد فى قصر عابدين الذى أنشأه الخديو إسماعيل . وغير بعيد عن شارع قصر العينى بكل ما فيه وحوله من مبانٍ عامة كانت مقراً للنظارات ، أى الوزارات ، بل والمجلس النيابى منذ كان اسمه مجلس شورى القوانين ، وغير بعيد عن القصور الملكية فى الجزيرة وجاردن سيتى والقصور التى أقيمت حول محور ميدان لاظوغلى .

. . ولأن استيلاء أى قوات غازية على قلعة المدينة يعتبر استيلاء على البلد كلها . . فإن قوات الاحتلال البريطانى عندما وصلت إلى القاهرة يوم ١٤ سبتمبر ١٨٨٢ بعد هزيمة العرابيين فى معركة التل الكبير . بادرت إلى احتلال ثكنات الجيش المصرى فى قصر النيل كرمز لاحتلالهم للقاهرة . . والمؤسف أن الخديو توفيق استجاب لمطلب الانجليز بحل الجيش المصرى فأصدر مرسوماً بذلك بعد خمسة أيام من احتلالهم للقاهرة ، أى فى ١٩ سبتمبر ١٨٨٢ من مخبئه . فى قصر رأس التين ، بحل الجيش وتسريح الجنود . وجاء ذلك ردًا على مقاومة الجيش لهم . وهكذا لم ينس الخديو توفيق واقعة قصر النيل فى أول فبراير ١٨٨١ عندما تجمع الضباط وقدموا عريضة لرئيس النظار . . وهى المظاهرة العسكرية التى سبقت مظاهرة قصر عابدين فى ٩ سبتمبر ١٨٨١ . وفيها تبلورت أفكار الجبهة الوطنية العرابية ضد القصر وضد الأجانب .

** وظلت ثكنات قصر النيل تحت الاحتلال البريطانى . . ثم مضى الزمان حتى جاء يوم ٣١ مارس ١٩٤٧ عندما انسحبت منها القوات البريطانية لآخر مرة ووقف الملك فاروق يرفع علم مصر فوق ثكنات قصر النيل ، وكان يرتدى بدلته العسكرية وبجواره محمود فهمى النقراشى رئيس وزراء مصر وكبار قادة الجيش المصرى . . وكان هذا اليوم مشهودًا لانه كان يعنى جلاء الانجليز عن القاهرة .

** وعاد الجيش المصرى إلى الثكنات التى أنشأها الوالى سعيد باشا . . وظلت ثكنات قصر النيل فى موقعها حتى تقرر إزالتها ونقل القوات المسلحة إلى منطقة العباسية فى نفس المعسكرات التى جلت عنها القوات البريطانية .

وتقرر هدم الثكنات لإنشاء واجهة غربية للقاهرة لتتحول هذه المنطقة التى كان يدنسها جنود الاحتلال إلى أراض أقيمت عليها مبانى جامعة الدول العربية . وفندق هيلتون النيل ومبنى الاتحاد القومى االذى بنى فى الأصل ليكون مقرًا لبلدية القاهرة ، ثم تحول إلى مقر للاتحاد الاشتراكى ثم إلى مقر للحزب الوطنى الديمقراطى .

** ومع عام ١٨٨٢ تم رصف شارع قصر النيل بالحجر . . ثم بالأسفلت بعد أن أصبح أشهر شارع تجارى فى القاهرة يبدأ من عند المتحف المصرى ليصل إلى ميدان سليمان باشا ثم يواصل طريقه إلى تقاطعه مع شارع ابراهيم « الجمهورية الآن » عند جامع الكيخيا .

وشهد هذا الشارع زحفًا من كبار التجار فوجدنا فيه محلات اليهود مثل شالون وصيدناوى وداود عدس وبنزيون . كما وجدنا محال الصالون الأخضر وبيع المصنوعات المصرية وعمارة الإيموبيليا أشهر عمارات العاصمة . . ومقر البنك المركزى والبنك الأهلى . . وهكذا .

** أما التمثال الذى كان مقررًا إقامته للخديو إسماعيل فوق القاعدة التى أقيمت فى ميدان الإسماعيلية « التحرير » فقد وصل إلى الاسكندرية من إيطاليا بعد ثلاثة أيام من قيام حركة ٢٣ يوليو ولهذا لم يكتب للخديو أن ينعم بتمثاله فى الحى الذى أنشأه : حى الإسماعيلية !!

شارع قصر النيل كما يبدو حالياً بعد حوالى ١٣٠ سنة من إنشائه .

واذا كان الشارع الممتد من كوبرى قصر النيل إلى باب اللوق قد حمل اسم « شارع الخديو إسماعيل » فإنما كان ذلك بهدف ربط الثكنات والميدان الجديد الذى حمل أيضا اسم إسماعيل بقصر عابدين الذى بناه الخديو ونقل إليه مقر الحكم ، بعد أن ظلت تحكم من القلعة قرونا عديدة منذ بناها الناصر صلاح الدين ، وهو الشارع المعروف الآن باسم شارع التحرير قبل امتداده من كوبرى الجلاء إلى الدقى . ثم يمتد إلى ما بعد المركز القومى للبحوث . وحمل الشارع الثانى اسم : شارع سليمان باشا « الفرنساوى » الضابط الذى خدم بجيش بونابرت ثم أصبح رئيسًا لأركان جيش مصر أيام محمد على باشا . . ثم شارع قصر النيل الممتد الآن من ميدان التحرير إلى شارع الجمهورية بعد أن يعبر ميدان سليمان باشا . .

** وللحقيقة فإن محمد على باشا هو أول من عمر منطقة قصر النيل . بل كان هو وراء إطلاق هذا الاسم عندما استحضر « المعلمين من الروم » لإدخال المبانى الرومية فى الديار المصرية . وكما أنشأوا له سراية القلعة « قصر الجوهرة » وسراية شبرا ، انشأوا لابنته زينب هانم سراية الأزبكية . . ثم بنوا لابنته نازلى هانم سراية على ساحل النيل هى التى هدمها سعيد باشا ليبنى محلها قشلاق قصر النيل لإقامة العساكر به ، كما قال على مبارك فى خططه التوفيقية ، أى أن اسم المنطقة جاء من « قصر النيل » الذى بناه محمد على لابنته نازلى هانم . . وهنا كانت بداية التسمية . .

ولا يمكن أن نترك الحديث عن « قصر النيل » دون حديث مفصل عن كوبرى قصر النيل . . فقد بدأ إنشاء « كوبرى » قصر النيل عام ١٨٦٩م أيام الخديو إسماعيل وكان بذلك أول كوبرى للمرور أنشىء على النيل من منبعه إلى مصبه وافتتح للمرور يوم ١٠ فبراير ١٨٧٢م وأنشأته شركة فيف ليل الفرنسية واستمر فى الخدمة ٦٠ عامًا تقريبًا ، أى إلى أول إبريل ١٩٣١ وكان طوله ٤٠٦ أمتار .

ثم تقرر هدم كوبرى قصر النيل لانشاء كوبرى آخر محله وطرح فى مناقصة يوم ٥ مارس ١٩٣٠ ورست المقاولة على شركة دورمان لونج الإنجليزية بتكاليف قدرها ٣٠٨٢٥٠ جنيها و ٢٥٠ مليما !! وهو الكوبرى الحالى الذى افتتحه الملك فؤاد فى

تمثال الخديو إسماعيل . . لم يكتب له أن يوضع فى قلب ميدان الإسماعيلية [التحرير الآن] لأنه وصل بعد ثلاثة أيام من ثورة ٢٣ يوليو .

أكبر مجمع حكومى فى مصر يتوسط ميدان التحرير .

منتصف عام ١٩٣٣م وأطلق عليه اسم والده : الخديو إسماعيل اعترافا بفضل المنشىء الأول لكوبرى قصر النيل القديم . وأصبح طول الكوبرى الجديد ٣٨٢ مترًا و٢٠ سم وعرضه ٢٠ مترًا . وكجزء من تجميله أعيد تركيب « الأسود » الأربعة التى كانت قائمة على مدخل الكوبرى القديم لتكون أثرًا ناطقًا بفضل إسماعيل المنشىء الأول ، ولكن على ارتفاع أقل مما كانوا عليه فى الكوبرى القديم .

** إذا كانت قواعد كوبرى قصر النيل القديم قد بنيت بالدبش العادى المحاط بطبقة من الحجر الجيرى الصلب ؛ إلا أن الكوبرى الجديد أسس من صناديق حديدية مملوءة بالخرسانة المسلحة ودعائمه من الخرسانة العادية مكسوة بالجرانيت الوارد من أسوان وبلغ وزنه المعدنى ٣٣٦٠ طنًا أى ضعف الكوبرى القديم . .

* وقبل أن نترك قصر النيل القديم والجديد لا يفوتنا الإشارة إلى أمر يراه البعض غريبًا . . ولكنه أمر واقعى . الأمر هو فرض رسوم يدفعها كل من يعبر الكوبرى القديم الذى أنشأه الخديو إسماعيل سواء من البشر أو الدواب . ومن المؤكد أن هذا أمر واقعى تتبعه الآن معظم دول العالم : فى أمريكا . وفى تركيا . وفى دبى بدولة الإمارات عند إنشاء جسر المكتوم الأول على « خور دبى » . وهذه الرسوم كانت تستخدم فى صيانة الكوبرى . . فضلاً عن رد بعض تكاليف الإنشاء .

فقد نص المرسوم الذى نشرته « الوقائع المصرية » يوم ٢٧ فبراير ١٨٧٢م بعد ١٧ يومًا من افتتاح الكوبرى للمرور على تحصيل رسوم عبور من المارة وهو مرسوم أصدره رئيس المجلس الخصوصى إلى محافظ القاهرة .

** فقد فَرَضَ على « الجمل المحمل » قرشين رسم عبور . والفارغ قرشا واحدا . والخيول والبغال المحملة قرشا و ١٥ بارة . والفارغة ٣٠ بارة . والجاموس والأبقار قرشًا و ١٥ بارة لكل واحدة . وعربات الكارو المجوز المحملة ٣ قروش والفارغة قرشا و ٢٠ بارة والمفرد المحملة قرشين ، والفارغة قرشا واحدا ، وعربة الكارو الحجارى الحمارى المحملة قرشا و ٢٠ بارة والفارغة ٢٠ بارة . وكل واحدة من الغنم أو الماعز ١٠ بارات . أما الرجال والنساء « فارغين وشايلين » فيدفع كل فرد ١٠٠ بارة وعربات الركوب قرشين

محملة وقرشا للفارغة . مع إعفاء الأطفال حتى ٦ سنوات المارين مع أقاربهم من دفع هذه الرسوم . .

** ولكن الغريب أن إعلان فرض هذه الرسوم ضم أشياء غريبة ، ربما كانت موجودة فى هذا الزمان ـ منذ ١٢٣ عامًا فقط ـ إذ تضمنت الرسوم فرض رسم عبور على النعام الصغير والكبير . والغزال . والكلاب والخنزير والحلوف والضبع والدب ويسدد عن كل منها ١٠ فضة . . أى أن هذه الحيوانات كانت موجودة وقتها وكان دفع الرسوم عنها أمرا عاديا أو شائعا !!

ونص المرسوم على أن هذه الرسوم تخصص للإنفاق على لوازم الكوبرى !!

تلك هى حكاية قصر النيل . . الكوبرى القديم والجديد . الذى حولوا اسمه إلى كوبرى التحرير . . ثم أطلقوا عليه اسم : جمال عبد الناصر . . ولكن الاسم القديم ظل صامدًا رغم عوادى الزمن : قصر النيل لأن قرارات الشعوب أقوى من أى مراسيم حكومية !

عباس حلمى الأول والى مصر الذى تولى الحكم عام ١٨٤٨ ووضع أساس حى العباسية الشهير .

العباسية من صحراء مهجورة .. إلى حى للأثرياء

كانت مجرد صحراء جرداء على شرق القاهرة . ومن المؤكد أنها أول ضاحية للقاهرة .. كانت على الطريق المؤدى إلى قريتى المطرية وهليوبوليس ، أو واحات عين شمس . تلك هى العباسية التى التحمت الآن بالقاهرة نفسها ، بل وامتد العمران ، ليعبرها إلى الشرق أكثر حيث مدينة نصر وإلى الشمال الشرقى حيث هليوبوليس ، أو مصر الجديدة .

** والعباسية وضع أساسها عباس حلمى الأول باشا والى مصر الذى تولى الحكم بعد وفاة الوالى الثانى ابراهيم باشا فى عام ١٨٤٨ واستمر واليا على مصر حتى عام ١٨٥٤ . فقد قرر عباس الأول هذا تشييد ثكنات للجيش المصرى على حافة الصحراء ووضع أسس حى العباسية وشجع الناس على تعمير هذه المنطقة عن طريق منح الأراضى وتشييد مستشفى ومدرسة وقصر .. وسار على منواله الوالى الرابع سعيد باشا .

** إلا أن الطفرة الأساسية كانت فى عهد إسماعيل باشا الذى أنشأ عدة مدارس عسكرية فيها ونقل إليها مدرسة الضباط « المدرسة الحربية » . حتى يسهل على التلاميذ القيام بالتمرينات الحربية وضرب النار ..

ففى عام ١٨٦٣ أنشأ إسماعيل المدرسة التجهيزية بالعباسية . التى نقلت بعد فترة إلى درب الجماميز عام ١٨٦٨ وعرفت باسم المدرسة الخديوية وفى عام ١٨٦٣ أيضًا أنشأ مدرسة المبتديان الابتدائية التى نقلت بعدها إلى الناصرية ثم إلى حى المنيرة .. كما أنشأ مدرسة البيادة « المشاة » ١٨٦٤ وكان عدد تلاميذها عند الإنشاء ٤٩٠ تلميذًا .. ثم مدرسة السوارى « الفرسان » عام ١٨٦٥ ، ومعها فى نفس العام أنشأ إسماعيل باشا

مدرسة الطوبجية « المدفعية » ، ومدرسة أركان حرب ، ثم مدرسة الرى والعمارة وسميت « المهندسخانة » ١٨٦٦م بسراى الزعفران التى أنشأها إسماعيل باشا والتى نقلت بعد ذلك إلى سراى درب الجماميز ثم إلى الجيزة . وبالمناسبة سمى هذا القصر الضخم بالزعفران نسبة إلى نبات وزهرة الزعفران التى كانت تنمو كثيرًا فى المنطقة . وهو نفس القصر الذى تشغله الآن إدارة جامعة عين شمس « إبراهيم سابقًا » فضلاً عن ميدان لسباق الخيل . .

** وبلاشك أن كل هذه المنشآت العسكرية وضعت الأساس السليم لحى العباسية الذى كانت بدايته سراى ضخمة أقامها عباس الأول . ثم بتشجيع من إسماعيل وتسهيل فى تملك الأراضى ، انطلق الناس يعمرون العباسية ، ثم العباسية الشرقية . وإن كان البعض كان يرى فى ذلك ابتعادًا عن قلب العاصمة . ولكن بسبب جفاف جوها وارتفاع أرضها أقبل الناس على سكنى العباسية حتى توسعت ، وإن أصيبت بضربة شديدة خلال سنوات الحرب العالمية الثانية بسبب غارات الطائرات الألمانية والإيطالية على المعسكرات الانجليزية فى العباسية . .

* وحى العباسية له تاريخ حافل فى سجل العسكرية المصرية خلال أحداث الثورة العرابية ففى يوم ١٨ فبراير ١٨٧٩ عقد ٦٠٠ ضابط مصرى اجتماعًا فى ثكنات الجيش بالعباسية خرجوا على إثره فى مظاهرة عسكرية اشترك فيها طلاب المدارس العسكرية وبعض الجنود وثلاثة من أعضاء مجلس شورى النواب ، وتوجهوا إلى مقر وزارة المالية فى لاظوغلى بقيادة البكباشى لطيف سليم وتربصوا برئيس النظار نوبار باشا والمفتش الأجنبى « الوزير » ويلسون عند خروجهما من النظارة « الوزارة » التى كانت قصرًا لإسماعيل باشا المفتش « إسماعيل صديق » وضربوهما ضربًا مبرحًا وسجنوهما فى داخل الوزارة ولم ينقذهما إلا الخديو إسماعيل . وفى اليوم التالى سقطت وزارة نوبار ولكن بعد أن أثبتت مظاهرة الضباط قدرة الجبهة الوطنية المصرية الرافضة للتغلغل الأجنبى . .

** وامتدت حركة العمران . فشهدت العباسية إنشاء المستشفى اليونانى والمستشفى الإيطالى ، بعد إنشاء مستشفى الأمراض النفسية .

وظل اسم العباسية قائمًا لأنه كان من الصعب تغييره بزوال حكم أسرة محمد على عام ١٩٥٣ .

جرانفيل .. أو فخرى عبد النور :

ونروى هنا صفحة من صفحات الفخار المصرية لأنها تجسد الوحدة الوطنية وتعطى للمناضلين حقهم التاريخى فى أن يذكرهم الأحفاد حتى ولو كان هذا مجرد لافتة على شارع تحمل اسم هذا البطل أو الإنسان . .

** وحديثنا الآن عن فخرى بك عبد النور . . فهل يعرف أحد ممن يسكنون فى شارع فخرى عبد النور الآن ، أو يمرون به ، شيئًا عن هذا المصرى الكبير الذى كان من الرعيل الأول لثورة ١٩١٩ ؟

العلاقة بين الشخص والشارع بدأت عام ١٩٥٠ عندما أرسل أهالى جرجا عريضة إلى وزير الشئون البلدية والقروية ابراهيم باشا فرج يطلبون فيها إطلاق اسم فخرى عبد النور ـ ابن مدينتهم ـ على أحد شوارع القاهرة . وذهب ابراهيم باشا فرج إلى مصطفى النحاس باشا رئيس الوزراء يبلغه رغبة الأهالى، وعلى الفور رد النحاس باشا موافقاً قائلا: فخرى بك لم يأخذ حقه . وبدأ البحث عن شارع يليق بالرجل . .

** كانت الأسرة تسكن فى العباسية وكان بيتها يحمل رقم ١١٧ على شارع العباسية عند شارع عظيم الدولة . . ودار حوار بين النحاس باشا وابراهيم باشا فرج ، وطرح إطلاق اسم فخرى بك على شارع عظيم الدولة هذا حيث بيت الأسرة . ولاحظ هنا ماذا قال النحاس باشا الذى يحفظ للناس حقوقهم عندما قال : أنا لا أعرف من هو عظيم الدولة . ولكن مادام هذا الرجل كان عظيمًا فى دولته فلماذا نحرمه من الإبقاء على اسمه على هذا الشارع ـ وهذا درس لمن لا يعتبر ـ وسأل عن أقرب شارع فى المنطقة فقالوا له : شارع جرانفيل فأظهر النحاس اعتراضه من بقاء اسم هذا الرجل على شارع يمتد طوله إلى ثلاثة كيلو مترات . وقال : فليكن هذا هو الشارع الذى يجب أن يحمل اسم فخرى بك عبد النور . . فلماذا امتعض النحاس ومن هو جرانفيل ؟ .

جرانفيل هذا كان وزير خارجية بريطانيا ١٨٨٧م وأرسل له المعتمد البريطانى فى

فخرى عبد النور من قيادات حزب الوفد فى الصعيد ، وضع النحاس باشا اسمه على شارع كان يحمل اسم « جرانفيل » وزير خارجية انجلترا .

مصر : لورد كرومر يسأله الرأى فيما لو اختلف رأى المستشار الانجليزى مع رأى الناظر « أى الوزير المصرى » فرد جرانفيل هذا على كرومر بتلغراف من أربع كلمات فقط هى : « مشورة المستشار بمثابة أمر » وبهذا التلغراف أصبحت كلمة المستشار البريطانى هى العليا حتى فوق رأى الحكومة المصرية . . وهذا التلغراف كما يقول سعد فخرى عبد النور قطب الوفد وابن فخرى بك ، شل حركة النظار حتى ١٩٠٦ عندما اعترض سعد باشا زغلول على تدخل المستشار الانجليزى للمعارف دنلوب وهدد سعد الوزير المصرى بالاستقالة وعندما احتكموا إلى كرومر قال : نعمل استثناء لسعد باشا .

** وهكذا قرر النحاس باشا رئيس الحكومة المصرية إطلاق اسم فخرى عبد النور على شارع جرانفيل وهو الشارع الذى يمتد من أمام كلية الشرطة حتى ميدان عبده باشا حيث مدرسة العباسية الثانوية ـ إسماعيل القبانى الحالية ـ وفى هذا الشارع مدرسة الفنون والصنايع « كلية الهندسة الآن بجامعة عين شمس » وهى المدرسة التى أنشأتها أول حكومة وفدية عام ١٩٢٤ ، وكان أول ناظر لها هو إبراهيم فهمى النمرسى .

** أما فخرى عبد النور فقد ولد فى جرجا فى ١٥ يونية ١٨٨١ لأسرة معروفة فى الصعيد بالنشاط التجارى والزراعى . ووالده هو عبد النور إقلاديوس « ١٨٤٩ ـ ١٨٩٠ م » الذى اشترك فى إعداد حملة إسماعيل لتثبيت حقوق مصر فى مديرية خط الاستواء وزارته الامبراطورة أوجينى فى بيته عام ١٨٦٩ . . أما جده إقلاديوس حنين ١٨٠٤ ـ ١٨٧٧ فكان مساعدًا لحاكم الإقليم .

تأثر فخرى فى سنواته الأولى بالجو العام الذى ساد عقب الثورة العرابية فانضم لحزب الأمة . وأيد الخديو عباس حلمى الثانى فى مواقفه الوطنية حتى زاره الخديو فى منزله بجرجا ١٩٠٩ ومنحه البكوية .

ثم كان أحد ثلاثة أقباط التقوا بسعد زغلول فى نوفمبر ١٩١٨ وجمعوا له التوقيعات بالتوكيل عن الأمة . وأصبح عضوا بارزا فى حزب الوفد وفى لجنته المركزية واشترك فى تأليف المجموعة الثالثة من الوفد بعد اعتقال المجموعتين الأولى والثانية . واعتقلته السلطات البريطانية وسجنته أكثر من مرة بسبب نضاله الوطنى .

** واختير عضوًا بالوفد بكامل هيئاته فى ١٩٢٣ . وانتخب عضوا بمجلس النواب عن جرجا منذ أول مجلس دستورى عام ١٩٢٤ إلى أن مات فى ٩ ديسمبر ١٩٤٢ وهو يخطب تحت قبة مجلس النواب يدافع عن قضايا الفلاحين . وتعتبر مذكراته والتى أصدرها ابنه سعد الذى حمل اسم سعد زغلول وثيقة هامة وصادقة عن أحداث ثورة ١٩١٩ وصدرت عام ١٩٩٢ وتسجل الأحداث الوطنية من نوفمبر ١٩١٨ إلى يناير ١٩٢٤ . ورثاه النحاس عند وفاته . .

** تلك قصة شارع فخرى عبد النور . . أحد أبطال مصر الحديثة

النيل عند السيدة وعابدين !

يعرف البعض أن دلتا النيل كانت تتكون من سبعة فروع ، قبل أن تستقر الدلتا عند فرعين اثنين هما دمياط ورشيد وتدفن الفروع الخمسة الأخرى . . ولكن هل يعرف العامة أن نهر النيل عند القاهرة غير مجراه أربع مرات على الأقل . . وأن معظم أراضى القاهرة الحديثة كانت تحت مياه النيل ، أو كانت كلها وبعضها تقع على الضفة الغربية للنيل ، وليس شرق النيل كما هى الآن . . ليس هذا فقط ، بل إن الضفة الغربية للنيل كانت فى منتصف القرن الماضى تقع غرب المجرى الحالى . أى أن كل مناطق مدينة الجيزة والدقى والعجوزة بما فيها من شارع مراد وحديقتى الحيوان والأورمان وشرقى الدقى والعجوزة وشارعى الجيزة والنيل . . كانت كلها تقع شرق مجرى النيل الحالى . .

فإذا تخيلنا هذا الوضع نكتشف أن وسط القاهرة الحالى كله من قرب مسجد السيدة زينب وغرب قصر عابدين والأزبكية إلى ميدان رمسيس كانت كلها غرب المجرى الرئيسى للنيل ، أى أن بعضها كان تحت مجرى النيل . . فى القرن السابع . . وبالتالى فقد كانت منطقة مجلس الشعب وميدان التحرير والشوارع المتفرعة من شارع قصر العينى وكل شوارع وسط القاهرة . . كانت كلها إما تحت النيل . . أو فى غرب النيل!!

** ويقول العلامة المصرى الدكتور رشدى سعيد فى كتابه العظيم « نهر النيل » إن النهر عند القاهرة ـ غير مجراه أربع مرات منذ الفتح الإسلامى إلى نهاية القرن التاسع عشر .

** فقد كان النهر فى منتصف القرن السابع الميلادى ـ عند الفتح الإسلامى لمصر ـ يبدأ من جنوب حصن بابليون ويتجه شمالاً فى نفس مسار شارع سيدى حسن الأنور

حتى يقترب من مسجد السيدة زينب ثم يتجه شمالاً عند تقاطع شارع السد البرانى ليأخذ المجرى الذى نعرفه الآن بشارع محمد فريد إلى نفس مسار شارع الجمهورية ليصل إلى ميدان رمسيس عند المقس . والمقس هى تحريف للمكوس أى الجمارك وكان موقعها عند باب البحر مجاورًا لمسجد أولاد عنان القديم .

** ثم تحرك النهر غربًا . وكان الوضع هكذا فى أواخر القرن العاشر الميلادى عندما يبدأ النهر من شمال المجرى السابق أى يقترب أكثر من فم الخليج ويسير شمالاً فى نفس مسار شارع « أبو سيفين » ثم يتخطى شارع السد البرانى « ولاحظوا الاسم » ويتجه شرقًا عند شارع منصور الحالى فى باب اللوق ليأخذ المسار القديم عند بداية شارع محمد فريد . .

** المرة الثالثة كانت أيام صلاح الدين الأيوبى ثم العصر المملوكى عندما اتجه النهر غربًا أكثر من أمام مقياس النيل فى الروضة ليأخذ مسار شارع قصر العينى الحالى ثم ميدان التحرير ثم يتجه غربًا من أمام فندق هيلتون ليقطع شارع ٢٦ يوليو ويتجه شمالاً بغرب . .

** المرة الرابعة فى منتصف القرن الماضى . . عندما كانت الضفة الغربية للنيل غرب المجرى الحالى . ويكاد يأخذ مسار شارع جامعة القاهرة الحالى وتقع مناطق الدقى وشارع الدقى إلى أن يصب فى المجرى الحالى قبل كوبرى « أبو العلا » . . ويتضح من هذا أن كل مناطق حديقة الحيوان وحديقة الأورمان والعجوزة والدقى حتى أمام كوبرى الزمالك . . كانت كلها شرق مجرى النيل .

** وعندما بدأ النهر فى الإطماء حول ميناء المقس [باب الحديد] ظهرت حوله جزيرة الفيل عام ١١٧٤م ثم دخلت فى صلب المدينة عند انسداد الفرع الشرقى للنيل الذى كان يفصلها عن المدينة فى حوالى عام ١٢٨٠ ميلادية . ومكان هذه الجزيرة الآن أحياء شبرا والسبتية وجزيرة بدران ، ويحتل الجزء الجنوبى الغربى من الجزيرة الذى كان عاليًا لا تغمره مياه الفيضان منذ البداية « بلدة بولاق » التى أصبحت ميناء القاهرة النهرى الجديد بعد إطماء وانسداد ميناء المقس القديم عام ١٣١٣م . وهكذا نعرف أن

بولاق كانت عند تأسيسها وحتى أواخر القرن الماضى مفصولة عن القاهرة القديمة والذى كان يصل « بلدة بولاق » هذه بالقاهرة طريق يمر فى سهل فيضان النيل حتى ميدان الأزبكية الذى كان بحيرة !

النيل .. عند باب الحديد :

وخلال عمليات تحرك النيل غربًا عند القاهرة انحسرت المياه عن ميناء القاهرة عند منطقة المقس « أى المكس » وحيث كان يتم تحصيل الجمارك على الواردات . وكان موقع هذا الميناء النهرى خلف جامع أولاد عنان القديم ـ مسجد الفتح الحالى فى باب الحديد ـ وهو المسجد الذى أنشأه الحاكم بأمر الله وعمره الصاحب عبدالله المقسى عام ٧٧٠ هجرية ثم سكنه الشيخ محمد عنان وأخوه وأولاده فعرف بهم . وكان فى شمال هذا المسجد منظرة عرفت بمنظرة المقسى كان يجلس فيها الخليفة الفاطمى عند توديع أو استقبال الأسطول الحربى الذى كان يخرج للغزو من المقس فى النيل إلى دمياط ومنها للبحر المتوسط . ومازال هناك شارع اسمه : باب البحر فى هذا الموقع .

** وفى شمال بستان المقس الأرض التى عرفت باسم أرض الطبالة وموقعها الآن حى الفجالة وجزء من حى الظاهر والشرابية .

وتبدأ حكاية الزمالك من القرن الرابع عشر الميلادى . . عندما ظهرت جزيرة عرفت باسم جزيرة حليمة عام ١٣٧٢م . وأقبل الناس عليها وبنوا فيها الأخصاص وزرعوا حولها الزهور وعائلة الخيار والقثاء والبطيخ ، واتجه أرباب الخلاعة والمجون إليها كما يقول محمد كمال السيد فى كتابه أسماء ومسميات من مصر القاهرة « وتهتكوا بأنواع المحرمات فارتفعت قيمة الأرض حتى بلغ إيجار الفدان ٨٠٠٠ درهم . . عن ستة أشهر فقط هى التى ينحسر عنها الماء عن الجزيرة . . ولما زاد المجون والفساد أمر السلطان المملوكى الكامل شعبان بن قلاوون بحرق هذه الأخصاص وإتلاف مابها . واتصلت الأرض فى جزيرتى القرطية وحليمة وهى التى أسماها الفرنسيون عند دخولهم مصر بجزيرة بولاق . ثم جزيرة القرطية ـ والقرط هو البرسيم الأخضر لتتكون جزيرة الزمالك .

** ولقد اختلف المؤرخون فى معنى كلمة الزمالك . . منهم من قال إن الزمالك كلمة أعجمية معناها الأخصاص وهى بيوت من الغاب ومفردها زملك . . ومنهم من قال تفسيرا آخر ، إذ عندما أنشأ الخديو اسماعيل قصر الجزيرة « الآن موقعه قصر آل لطف الله الذى أصبح مقرًا لفندق عمر الخيام ثم أصبح فندق الماريوت » . . جعل الخديو الحرس الخاص به يقيم حول قصره هذا فى خيام الطراز « ذى الزملك» كما جاء فى تقويم النيل!!

** ولمن لا يعلم أن « البحر الأعمى » أى فرع النيل الغربى الذى يفصل الزمالك الآن عن العجوزة والدقى لم يكن موجودًا فى عام ١٨٧٣ !! بل كان عبارة عن منخفض من الأرض تغطيه مياه النيل عند الفيضانات العالية . وظهر هذا واضحًا فى الخريطة التى رسمها محمود باشا الفلكى فى هذا العام . بل إن الكوبرى الذى أقيم على هذا الفرع ـ كوبرى الجلاء الآن ـ وتم فى ٩ نوفمبر ١٨٧٢ بمعرفة الشركة التى أقامت كوبرى قصر النيل القديم . . هذا الكوبرى لم يستعمل إلا بعد ذلك بخمس سنوات أى فى نوفمبر ١٨٧٧ لأنه لم يكن قد تم حفر مجراه إلا فى هذا التاريخ « تقويم النيل ـ الملحق ص ١١٤ » . وبحفر هذا المجرى المعروف الآن بالبحر الأعمى أحاط الماء بالمنطقة كلها وأصبحت بذلك جزيرة . . هى جزيرة الزمالك . وبإنشاء كوبرى الانجليز الجديد عام ١٩١٤ أبطل استخدام النيل الرئيسى بين الجزيرة وبولاق فى الملاحةالنهرية وتم الاكتفاء بسير الملاحة عن طريق : البحر الأعمى . . وواضح من معنى « الأعمى » أنه كان نهرا بلاماء كالعين فاقدة الماء والإبصار !!

** وفى أواخر القرن الماضى وللحد من عمليات تحرك مجرى النيل غربًا بذلت الحكومة جهدًا كبيرًا لإيقاف هذا التحرك ومحاولة تثبيته وتقوية جسوره . . وقد ألقيت من أجل ذلك ـ كما يقول الدكتور رشدى سعيد فى كتابه « نهر النيل » حجارة كبيرة وكثيرة فى فرع النيل الذى يجرى إلى الغرب بين جزيرة الروضة والجيزة لإرغامه على الجريان فى معظمه فى الفرع الشرقى . كما تمت تقوية جسور النيل على طول شارع الجيزة، وأدت هذه الجهود إلى تثبيت النهر فى مجراه الحالى ووقف تحوله ناحية الغرب . كما أدت إلى تثبيت سهل الفيضان الغربى للنيل الذى تم صرف مياهه وشق الشوارع فيه . لتظهر أحياء العجوزة والدقى والجيزة . .

سراى الجزيرة أنشأها الخديو إسماعيل . . وكانت « أوجينى » امبراطورة فرنسا أول من أقام بها خلال احتفالات افتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩ .

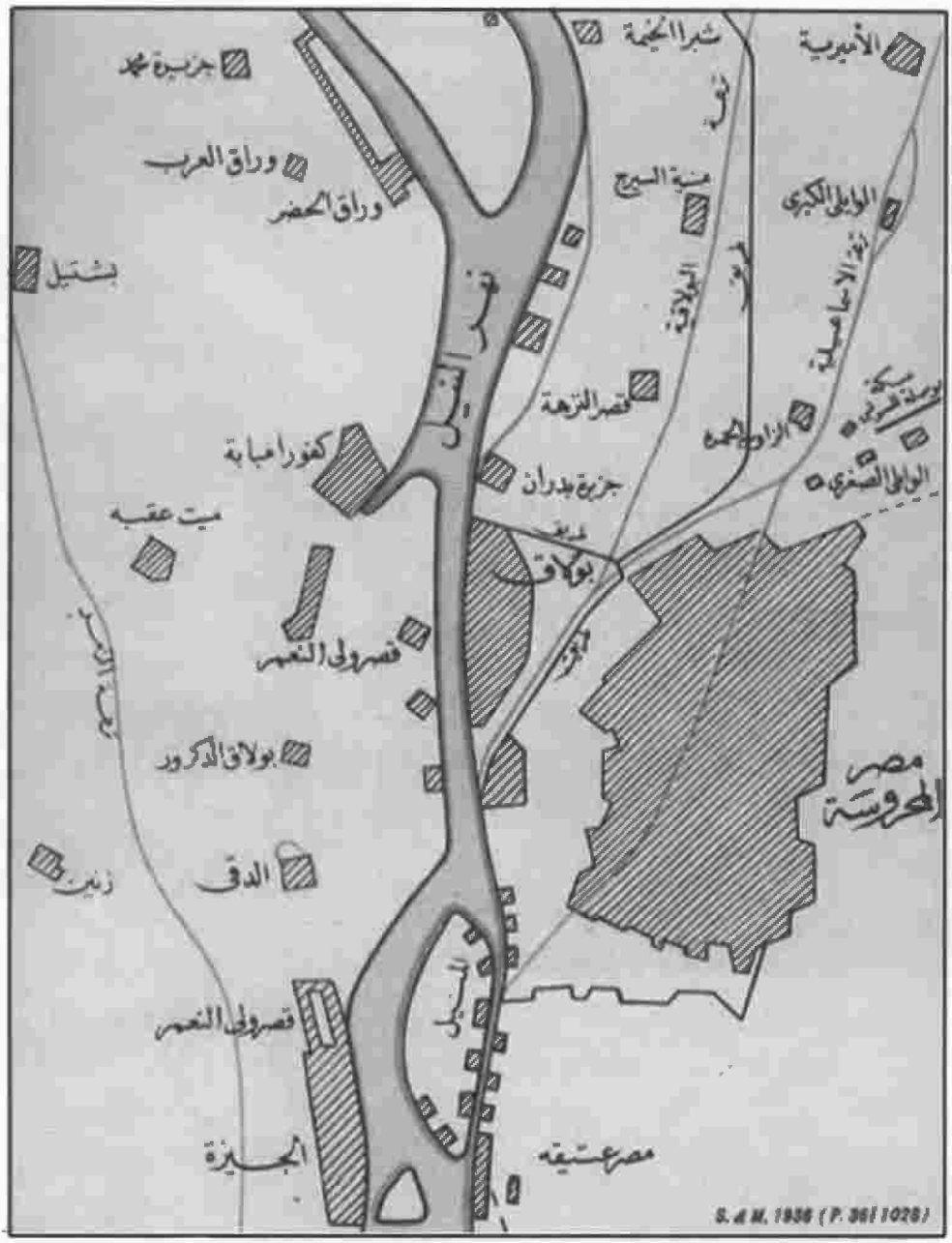

خريطة رسمها محمود الفلكى باشا سنة ١٨٧٣ بعد إنشاء كوبرى الجلاء القديم [نوفمبر ١٨٧٢]
تؤكد أن مجرى البحر الأعمى الحالى لم يكن موجودًا . وكانت أراضي الدقى والعجوزة متصلة بأراضى الزمالك الحالية .

تلك هى حكاية أرقى أحياء القاهرة المعاصرة : الزمالك والدقى والعجوزة بشارع النيل وشارع الجيزة . . وهى الأحياء التى هرب إليها الناس بعد ان ارتفع عدد سكان القاهرة من ٢٦٠ ألف نسمة عند دخول الفرنسيين إلى ٣٧٥ الف أيام على باشا مبارك إلى ٥ ملايين عام ١٩٧١ ليصل الآن عدد سكانها نهارًا إلى ١٣ مليونا . . ومساء إلى ٩ ملايين نسمة !!

من قصر للبرديسى إلى مدرسة .. للمبتديان !

شارع توالت عليه الخطوب . وتغير اسمه وتبدل مرات عديدة . ولكن ظل صامدًا . . لم لا وهو أشهر شوارع المنيرة كلها . . انه شارع المبتديان !!

وهو أول حى المنيرة ، بعد حى الإنشاء ، يبدأ من شارع قصر العينى وينتهى عند ملتقى شارعى الناصرية وخيرت . سمى « المبتديان » لأنه فى يناير ١٨٦٨ تم نقل مدرسة المبتديان إلى الناصرية مكان قصر عثمان بك البرديسى ، الذى كان يستخدم لاستقبال واستضافة ضيوف مصر . والمبتديان كلمة تركية تعنى كلمة الابتدائية . .

** تم مع إنشاء المدرسة السنية الثانوية للبنات ـ وهى أول مدرسة ثانوية لهن فى مصر ـ اختير لها نفس القصر ـ البرديسى ـ ليكون موقعًا ومقرًا لها . .

وعثمان بك البرديسى هذا كان من أبرز مماليك مراد بك الذى تلقد الإمارة عام ١٧٩٥م . وكان يشارك إبراهيم بك السلطة إلى قدوم الحملة الفرنسية إلى مصر . وبعد خروج الفرنسيين وسفر محمد بك الألفى إلى انجلترا طلبًا لمساعدتها له ضد محمد على باشا ، أصبح عثمان بك رئيسًا للمماليك المرادية . وكان للبرديسى قصره هذا فى الناصرية وعندما عاد الألفى من انجلترا ، أمكن لمحمد على بخيانة من البرديسى الإيقاع به وتشتيت قواته .

** ثم سلط محمد على العسكر على البرديسى يطالبونه برواتبهم ففرض البرديسى ضرائب جديدة على أهالى العاصمة فثار الفقراء وانطلقت النساء فى الشوارع يهتفن فى المظاهرات « إيش تاخد من تفليسى يا برديسى » وشجع محمد على الأهالى ليستتب له الأمر . . ثم هاجمه العسكر فى قصره هذا فهرب إلى صعيد مصر حتى مات بعد مرضه

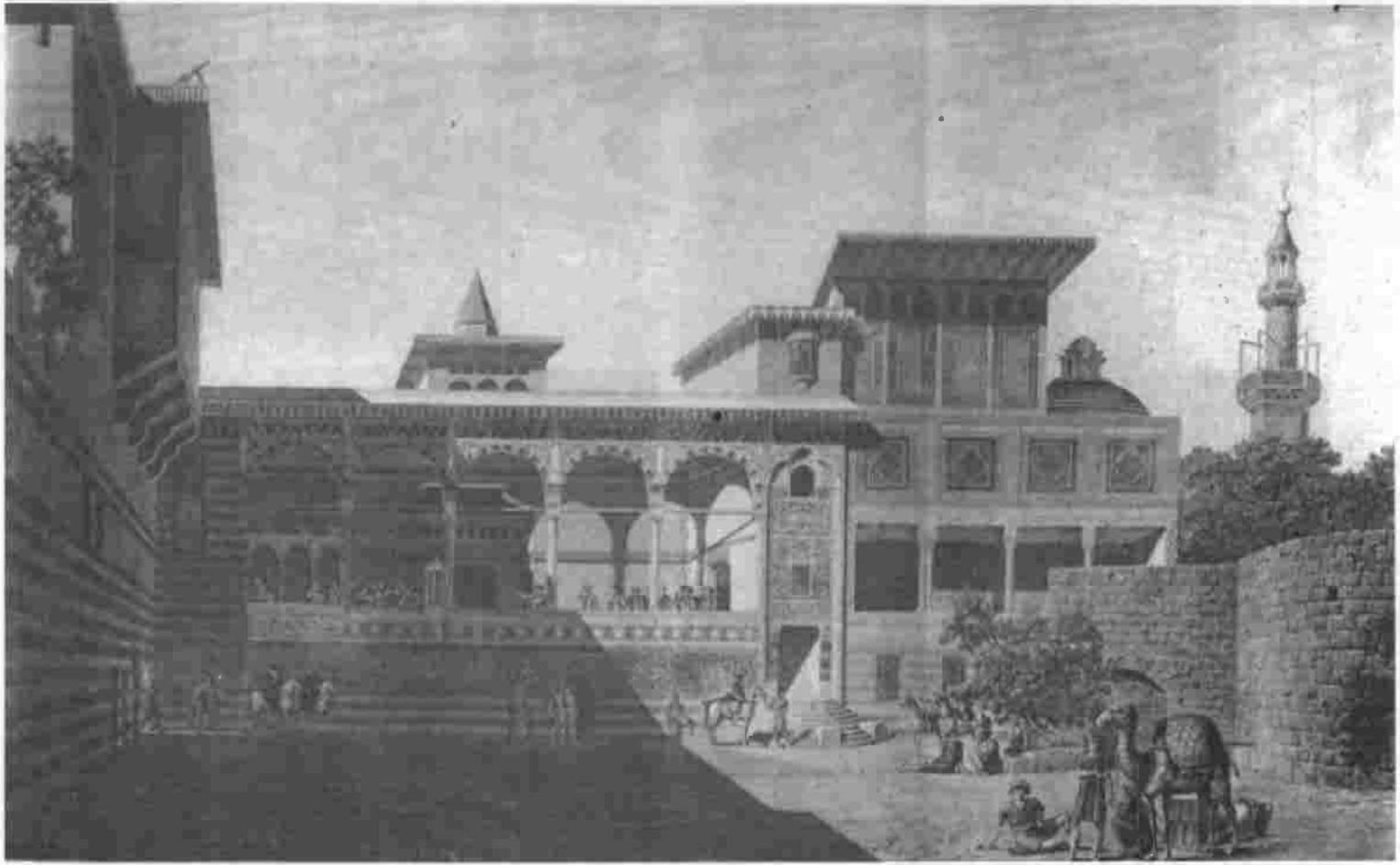

قصر عثمان بك البرديسى أبرز مماليك مراد بك فى منطقة الناصرية . وقد تحول هذا القصر إلى المدرسة الناصرية فى حى السيدة زينب ، ثم أصبحت مقراً لمدرسة السنية الثانوية للبنات والصورة من رسم الفنان بلزاك أيام الحملة الفرنسية .

فى مدينة منفلوط ودفن فيها عام ١٨٠٦ . فاستولى محمد على على هذا القصر وحوله إلى قصر للضيافة قبل أن يصبح مقرا لمدرسة المبتديان « الابتدائية» ثم فى مكانه أصبحت مدرسة السنية الثانوية للبنات . . ومن هنا حمل الشارع اسم : المبتديان . .

. . وتغير اسم الشارع فحمل اسم الشيخ محمد عز العرب المحامى الذى ترافع ضد الشيخ على يوسف صاحب جريدة المؤيد أكبر صحف مصر اليومية فى القضية المشهورة عندما تزوج على يوسف من السيدة صفية بنت الشيخ السادات عام ١٩٠٤ ونجح محمد عز العرب فى الحصول على حكم ضد على يوسف بالتطليق والتفريق بينه وبين السيدة صفية السادات . . لعدم التكافؤ فهى بنت الأشراف الساداتية . . وهو «الجورنالجى» وكانت حرفة لم تحظ بعد ـ وقتها ـ بالاحترام الكافى . . ولقد أطلقوا اسم الشيخ محمد عز العرب على هذا الشارع الذى كان يحمل اسم : الشيخ على يوسف ، فهل كان هذا استمراراً للصراع بين الشيخين العتيدين ؟!

واستقر اسم الشيخ محمد عز العرب على الشارع بينما أطلقوا اسم الشيخ على يوسف على الشارع الذى يتقاطع معه بالقرب من شارع قصر العينى وهو الشارع الذى يمتد من هناك ويخترق حى المنيرة موازيًا لشارع قصر العينى .

** وشهد شارع المبتديان هذا ـ مع تغير اسمه مرات عديدة ـ منشآت عديدة هامة منها مدرسة دار العلوم التى أصبحت كلية وكانت من أهم وأكبر وأول المدارس العالية فى تاريخ التعليم الحديث فى مصر الحديثة . وكما كان بداية التعليم الابتدائى ثم الثانوى بنات . . فإن فيه ايضًا واحدة من أكبر دور الصحف فى مصر تلك هى «دار الهلال » بمبناها الشامخ الذى أقيم فى هذا الشارع بعد سنوات قليلة من بداية القرن العشرين .

** ورغم تعدد الأسماء التى أطلقت على هذا الشارع العتيد إلا أن الاسم الأول مازال هو السيد وهو السائد . . فكل الناس المقيمين فيه يعرفونه باسم شارع المبتديان . . أما الرسائل فتحمل الاسم الرسمى وهو : محمد عز العرب المحامى الشيخ الذى لم يعرفه العامة إلا بعد دفاعه عن الست صفية السادات . . فى قضية الزوجية الشهيرة التى هزت مصر كلها عام ١٩٠٤ .

صورة نادرة لمحمد على باشا

باب اللوق وحكاية عمرها ٧٠٠ عام !

فى القاهرة ميادين عديدة أشهرها العباسية . وقد كتبنا حكايتها . ورمسيس وكتبنا بعض حكايته . . وهناك ميدان التحرير « الإسماعيلية » الذى كتبنا حكايته أيضًا .

وهناك ميدان العتبة التى كانت زرقاء !! قبل أن تصبح خضراء . ثم حملت اسم محمد على الكبير . . ثم تم اختصار كل هذا فى كلمة واحدة هى العتبة التى أصبحت «صرة مصر المحروسة » . ثم باب الخلق الذى كان معروفًا باسم « باب الخرق » أى الخرق الذى يخترقه الهواء وسوف نروى حكايته فيما بعد . . ثم ميدان باب اللوق . . ترى ما هو هذا « اللوق » قبل أن يصير عليه باب نعرفه الآن .

ومن المؤكد أن معظم الذين يمرون الآن بباب اللوق لا يعرفون حكاية ولا سر تسميته . . وربما يتساءلون : لماذا يبقى هذا الاسم الغريب . . ؟!

بداية أعترف أننى وجدت كثيرًا من المعلومات عن هذا الباب وهذا اللوق فى الكتب المشهورة : خطط المقريزى . وخطط على باشا مبارك « التوفيقية » وفى صبح الأعشى . . وفى كتاب رشدى سعيد عن النيل . . وأيضًا فى كتاب أسماء ومسميات من مصر القاهرة لمؤلفه محمد كمال السيد محمد . .

وذكرنا كيف انحسر مجرى نهر النيل واتجه غربًا أكثر من مرة بداية من القرنين السادس والسابع الهجرى ، قبل أن يستقر عند مجراه الحالى المعروف عند المنطقة المحصورة من مصر العتيقة إلى روض الفرج إذ عندما انحسر النيل غربًا ظهرت الأرض التى تعرفها الآن باسم جاردن سيتى وقصر العينى والمنيرة وميدان التحرير . . وأيضًا باب اللوق . .

على باشا مبارك أول وزير أشغال فى تاريخ مصر . وهو الذى أشرف على تنفيذ أفكار الخديو اسماعيل فى تحديث القاهرة .

ميدان باب اللوق منذ مائة عام [١٨٩٦] وترى خطوط الترام والمسجد القديم الذى أزيل عند إعادة تخطيط الميدان .

وأرض اللوق هذه كانت تغمرها مياه النيل أيام الفيضان ثم تنحسر عنها فتتركها لينة لا تحتاج إلى « حرث » تمامًا مثل أراضى الصعيد « الحياض » التى كانت تغمرها مياه الفيضان شهور الصيف ثم عندما تنحسر عنها المياه تصبح أرضًا صالحة تمامًا للزراعة وهى ما كنا نسميها الزراعة الشتوية ، قبل إلغاء نظام رى الحياض وتحويلها إلى نظام للرى الدائم بعد السد العالى .

** هذه الأرض اللينة كانت « تُلاَق لوقًا » أى تبذر فيها البذور ، ويضغط عليها بألواح خشبية حتى تغوص البذور داخل الأرض ، التى لم تكن بحاجة إلى الرى حتى تمام نضج النبات بسبب المياه التى تشبعت بها التربة خلال شهور الغمر طوال الصيف .

وهناك رأى آخر يقول سببًا آخر لهذه التسمية « اللوق » فاللوق أو « اللّق » هى الأرض المرتفعة . ويظهر هذا من رسالة الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان إلى واليه بالعراق الحجاج بن يوسف الثقفى عندما أمره ألا تترك « لقا » ولا خقًا إلا زرعته . والخق هو الغدير إذا جف ، أو ما انخفض من الأرض .

وأرض اللوق كانت تمتد من ميدان عابدين الحالى شرقًا إلى المجرى الحالى للنيل غربًا . ومن حى المنيرة جنوبًا إلى شارع فؤاد « ٢٦ يوليو الحالى » . كان هذا فى القرنين السادس والسابع الهجريين أى الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين .

** وفى عام ١٢٤١ أنشأ السلطان الأيوبى الصالح نجم الدين أيوب قنطرة عند باب الخرق « الخلق » ليعبر عليها من القلعة إلى الميدان الذى أنشأه فى « اللوق » وأنشأ به منظرة . وهى مكان جميل كان يجلس عليه الحاكم ليتمتع « بالمناظر الحلوة » .

وقد أنشأ الصالح أيوب ميدان باب اللوق ليلعب به ـ وفرسانه الجدد ـ المماليك البحرية الذين أسكنهم فى جزيرة الروضة ـ وهذا سبب تسميتهم بالبحرية على خلاف المماليك البرجية الذين سكنوا فى القلعة . . وكانت لعبتهم المفضلة هى لعبة « الأكرة » وهى عبارة عن رياضة وفروسية يمارسها الفارس وهو فوق ظهور الخيل وكان يحاول إسقاط الكرة بعد ضربها بالمضرب فى الأكر أى الحفر . وبجانب هذه اللعبة الأيوبية ـ

المملوكية بعد ذلك ـ كانت هناك ألعاب الفروسية والرماية وكان محل هذا الموقع الآن : فى ميدانى باب اللوق والأزهار . وكان لهذا الميدان سور وباب لدخول الفرسان واللاعبين والجمهور . . ومن هنا جاء اسم : باب اللوق !!

** وبعد انتهاء الدولة الأيوبية ونشوء دولة المماليك ، ألغى الظاهر بيبرس البندقدارى ميدان اللوق الذى أنشأه الصالح نجم الدين أيوب . . ولكنه أى بيبرس أنشأ ميدانًا آخر بالغرب منه ، موقعه الآن ميدان التحرير والجزء الشمالى من حى جاردن سيتى أى منطقة عمر مكرم وقصر الدوبارة والسفارتين الأمريكية والبريطانية . وظل هذا الميدان قائمًا لمزاولة أعمال الفروسية والرماية ، حتى جاء السلطان العادل كتبغا بعد ولاية الناصر محمد الأولى ، فخاف على نفسه من الخروج من القلعة لمشاهدة أعمال الفروسية فى باب اللوق ، ولأنه ككل المماليك كان عاشقًا للفروسية فقد أنشأ ميدانًا لهذه الفروسية قريبًا من القلعة وفى حماها . . جنوبى بركة الفيل .

** ولم تذهب بذلك ذكرى باب اللوق . إذ عندما عاد الناصر محمد بن قلاوون إلى السلطة للمرة الثالثة ، ألغى الميدان الذى أنشأه بيبرس وأنشأ مكانه « بستانًا » تزرع فيه الفواكه والزهور التى جلب بذورها وعقلها من الشام . وكان هذا البستان يمتد غربًا ليصل إلى شاطىء النيل . ولما زادت مكانة الأمير قوصون ـ صاحب الجامع الشهير فى شارع القلعة ـ أهداه السلطان الناصر هذا البستان الذى أضاف إليه زريبة تطل على النيل لتربية الخيول ـ رمز الفروسية عند المماليك .

** واستمرت هذه المنطقة مشهورة ببستانها ـ طوال حكم الناصر محمد وباقى سلاطين المماليك البحرية . . ثم أخذت تتدهور ويلحق بها الخراب حتى أصبحت بركًا ومستنقعات . . وإن بقيت فيها بعض المزارع . واستمر التدهور فيها إلى القرن الماضى عندما نقلت مدابغ القاهرة إليها من موقعها الأول فى جهة حوش الشرقاوى وسوق العصر جنوب ميدان باب الخلق أيام محمد على باشا الكبير . وسبب نقلها من باب الخلق تضرر الناس من روائح القاذورات المتخلفة عن عملية الدباغة بعد الذبح فتم نقل المدابغ إلى « اللوق » .

الملك أحمد فؤاد . . قبل أن يتولى عرش مصر كان يقيم فى « قصر البستان »

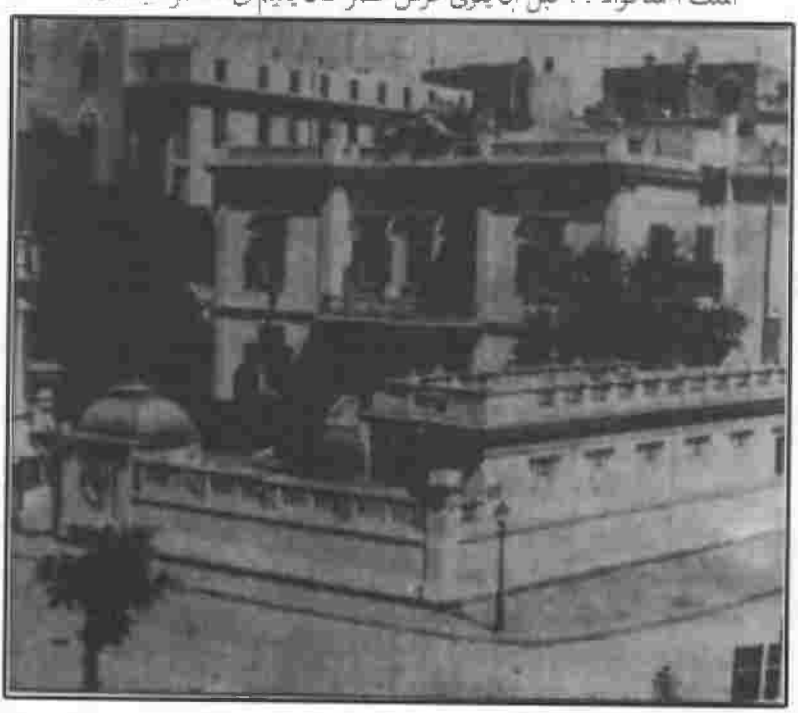

قصر البستان . . عقدت فيه أول اجتماعات جامعة الدول العربية . وكان من قبل مقراً لوزارة الخارجية المصرية قبل أن يهدم ويتحول إلى جراج متعدد الطوابق .

** ولكن عندما أنشأ الخديو إسماعيل نظارة الأشغال العمومية عام ١٨٦٤م لتصبح أداة لتنسيق سياسته الحضرية واختار على باشا مبارك لهذه المهمة الحضارية ، تقرر نقل المدابغ من اللوق فى العام التالى إلى جوار الفسطاط ، أى قرب موقعها الحالى . وربما لو دقق المارة فى شارع شريف الآن النظر فى اللافتة التى تحمل هذا الاسم العزيز على كل المصريين ، سوف يجد عبارة : شارع المدابغ سابقًا . وشارع شريف هذا يبدأ من باب اللوق من عند الجهة الشرقية لمبنى وزارة الاوقاف ثم يصل إلى تقاطعه مع شارع فؤاد الأول ـ ٢٦ يوليو حاليًا .

** وتم تخطيط المنطقة كلها إلى شوارع مستقيمة ومتقاطعة هى المنطقة العصرية الحالية باب اللوق والشوارع الخارجة والداخلة . وظل اسم باب اللوق . . حتى بعد أن ذهب الباب . ومن أشهر الشوارع المتفرعة من : شارع « البستان » الذى أنشأه السلطان الناصر محمد المملوكى . وهو الشارع الذى يحمل الآن اسم : محمد عبد السلام عارف أحد قادة الثورة العراقية . وكان يجب أن يستمر اسم البستان لما له من تاريخ . .

وفى شارع البستان هذا كان يقع قصر البستان الذى سكن فيه الأمير فؤاد قبل أن يصبح سلطانًا على مصر ثم ملكًا عليها . وهو القصر الذى أصبح مقرًا لجامعة الدول العربية قبل أن تنتقل إلى مبناها الحالى المواجه للمقر التاريخى لوزارة الخارجية . ثم للأسف هدم هذا القصر « البستان » بعد أن أصبح مقرًا للجمعيات العلمية . . وتحول هذا القصر الآن إلى جراج متعدد الأدوار على ناصية الشارع . أى ذهب القصر بعد أن ذهب البستان . . ولكن « العامة » رغم اللافتات المثبتة على نواصيه مازالوا يطلقون عليه اسم : شارع البستان وقلة هم الذين يعرفون الشارع باسم عبد السلام عارف . .

** ومن ميدان باب اللوق الذى حمل فترة اسم ميدان الفلكى تتفرع شوارع لها تاريخ منها : الفلكى . نوبار . شريف . مظلوم . يوسف الجندى . . فماذا تعرف عنها؟!

الفلكى صاحب الميدان والشارع وأشهر عالم فلك !!

من ميدان باب اللوق تتفرع عدة شوارع ، كل منها صفحة من تاريخ القاهرة . . ومن تاريخ رجالها العظام . فالشوارع هى تاريخ الأمة . . ومن أشهر هذه الشوارع شارع الفلكى . . فمن هو . وماذا كانت عظمته حتى أطلقوا اسمه على واحد من أطول الشوارع الخارجة من ميدان باب اللوق ؟!

** هو محمود الفلكى ـ أو محمود باشا حمدى الفلكى . الذى ولد عام ١٨١٥ ـ فى عهد النهضة العظمى التى بدأها محمد على باشا ـ بقرية الحصة بمديرية الغربية . اهتم أخوه بتربيته فأدخله المدرسة التى أنشأها محمد على فى الاسكندرية وعمره أقل من ١٠ سنوات أى فى عام ١٨٢٤ ونجح الصبى محمود حتى ترقى إلى رتبة « بلوك آمين » ثم انتقل إلى مدرسة المهندسخانة بالقاهرة فسبق أقرانه وتخرج منها .

ولأنه كان من أوائل الناجحين عينوه أستاذًا مساعدًا للعلوم الرياضية ونال رتبة الملازم ، وكان من تلاميذه على مبارك . وتعلم الفرنسية فترجم بعض الكتب الفرنسية فى الرياضيات . وتعمق فى دراسة علوم الفلك على كبار علماء فرنسا ، ثم قام بتدريسها لتلاميذ المهندسخانة ومنهم إسماعيل باشا الفلكى .

** ابتكر محمود الفلكى علم التقاويم السنوية فوضع تقويمًا عام ١٢٦٤ هجرية قارن فيه بين التواريخ الهجرية والميلادية والقبطية أو بين مواقع الشمس والقمر لتلك السنة . ومنذ ذلك الوقت عرف بين الناس باسم الفلكى الذى ارتبط به طول حياته . . وبعد مماته .

وفى ١٨٥٠م قرر عباس الأول تنظيم دار الرصد « رصد خانة » التى أنشأها محمد على باشا فأرسل ثلاثة من المهندسين النابغين إلى باريس للتخصص فى الفلك هم : محمود الفلكى ، وتلميذيه إسماعيل الفلكى وحسين أفندى إبراهيم اللذين أتما دراستهما فى المهندسخانة . وعاش محمود الفلكى تسع سنوات يدرس الفلك والرياضيات فى دار الرصد فى باريس . ثم فى أوربا . ونبغ حتى نشر أبحاثه فى المجلات الأوربية ومنها رسالة التقاويم العربية قبل الإسلام حقق فيها مولد الرسول

ﷺ، وأخرى عن المواد المغناطيسية الأرضية نشرها ١٨٥٦م . وعاد إلى مصر عام ١٨٥٩م فى عهد سعيد باشا فأنعم عليه برتبة أميرالاى وعهد إليه وضع خريطة مفصلة لمصر . فوضع خريطة جامعة للوجه البحرى لم يسبقه إليها أحد . وأخرى للصعيد . ثم الاسكندرية .

** وقد أعد رسالة عن عمر الأهرام والغرض من إنشائها وموقعها من كوكب الشعرى اليمانية .

وفى عام ١٨٧١م عين محمود الفلكى ناظراً لمدرسة المهندسخانة ثم ناظراً للرصدخانة وحضر المؤتمرات الفلكية فى باريس والبندقية . وعلى سطح بيته فى «ميدان الفلكى» أنشأ مزولة تبين ساعات النهار . ولكنها للأسف رفعت بعد وفاته .

** ثم بدأ مشوار المناصب العليا فتولى نظارة الأشغال العمومية عام ١٨٨٢ فى نظارة حكومة إسماعيل باشا راغب واستمر فيها حتى ٩ أغسطس وهى الوزارة التى بقى فيها أحمد عرابى باشا ناظرًا للجهادية والبحرية . ثم أعيد اختياره وزيرًا « ناظرًا » فى حكومة نوبار باشا يوم ١٠ يناير ١٨٨٤م عندما اختير ناظرًا للمعارف العمومية وظل وزيرًا للمعارف حتى وفاته يوم ١٩ يوليو عام ١٨٨٥ .

تلك هى مسيرة محمود باشا الفلكى الذى اختاره الخديو إسماعيل كأول مصرى وكيلاً لرئيس الجمعية الجغرافية الخديوية التى أنشئت عام ١٨٧٥ . وكان الغرض منها العناية بالأبحاث الجغرافية والعلمية وتدوينها ونشرها . وهى الجمعية التى اختار لها إسماعيل باشا العالم الألمانى جورج شونفرت كأول رئيس لها . . وكان الفلكى أول وكيل لها ، كما كان الجنرال استون باشا رئيس أركان حرب الجيش المصرى الوكيل الثانى . .

** هذا هو محمود باشا حمدى الفلكى أنبغ من أنجبتهم مصر الحديثة فى علمى الفلك والرياضيات ، ابن الغربية الذى أطلقوا اسمه على ميدان باب اللوق . . ثم عادوا فاكتفوا باسمه على أطول شارع يخرج من هذا الميدان اللوق . ويمتد الشارع حتى يصل إلى قرب مدرسة « كلية » دار العلوم القديمة فى المنيرة . . (أليس هذا شارعًا واسمًا يفخر به كل مصرى ؟!

محمد شريف باشا بطل الدستور المصرى ، وهو شركسى الأصل مصرى الهوى والهوية وصاحب الشارع الشهير فى وسط القاهرة وفى وسط الاسكندرية ، وهو جد الملك فاروق لأمه .

شريف .. أبو الدستور وجد الملكة نازلى !

هل هى صدفة أن يتصل شارع شريف ـ وهو أبو الدستور فى مصر ـ بشارع فؤاد الأول الذى صدر فى عهده دستور ١٩٢٣ . . أم هى صلة النسب لأن شريف باشا هذا هو جد الملكة نازلى الزوجة الثانية للملك فؤاد وأم ابنه فاروق الذى تولى ملك مصر بعد وفاته .

على كل حال فإن شارع شريف يبدأ من خروجه من باب اللوق ويتقاطع مع شوارع صبرى أبو علم ثم رشدى « الساحة » ثم قصر النيل ثم ثروت وأخيرًا عدلى قبل أن يصل إلى نهايته عند شارع فؤاد ـ ٢٦ يوليو ـ وكان اسم شارع شريف قبل ذلك هو شارع المدابغ قبل نقلها إلى باب اللوق . . ثم إلى شمال الفسطاط . وهذا سر الإبقاء على شارع المدابغ فى هذا الموقع قبل أن يطلق عليه اسم أبو الدستور المصرى : محمد شريف باشا . .

** هو ابن محمد شريف أفندى الجركسى الأصل الذى كان قاضيًا لقضاة مصر وقد ولد بالقاهرة فى نوفمبر ١٨٢٦ , وتلقى تعليمه الأوَّلى فى مصر ، ثم سافر للالتحاق بالمدرسة العسكرية فى فرنسا ، والتحق بعد تخرجه فى خدمة الجيش الفرنسى وعندما عاد إلى مصر عمل ياورًا لرئيس أركان حرب الجيش المصرى الكولونيل سيف الضابط الفرنسى الذى كان من ضباط نابليون ثم عمل مع محمد على باشا وأسند إليه إنشاء جيش مصر على أسس حديثة ، ثم أسلم وأصبح اسمه : سليمان باشا . . الفرنساوى . وظل محمد شريف يترقى فى سلك الجندية حتى وصل إلى رتبة « الفريق » فى عهد الوالى سعيد باشا .

** وقبل أن ندخل فى تفاصيل حياة وتاريخ شريف باشا نقول إن سليمان الفرنساوى بهرته شخصية شريف الضابط الشاب فزوجه من ابنته ورزق منها شريف باينة تزوجت عبد الرحيم باشا صبرى الذى رزق بدوره منها ببنت هى نازلى التى تزوجها فؤاد الذى أصبح سلطانًا ثم ملكا لمصر . . أى أن سليمان الفرنساوى هو الجد الأكبر للملكة نازلى . . وشريف باشا الجد الثانى ، وبالتالى هو جد الملك فاروق لأمه

نازلى : لقة طويلة عريضة تصور ترابط وعلاقات المصاهرة بين العائلات الكبيرة فى مصر خلال القرن الماضى . .

بدأ مشوار حياة محمد شريف مع الحياة المدنية والإدارية عندما تولى فى عام ١٨٥٤م فى عهد سعيد باشا منصب « باشمعاون الوالى » وهى وظيفة أقرب إلى اختصاص رئيس الوزراء الحالى . . بعد أن ألغى سعيد باشا وظيفة الكتخدا أو الكخيا أى المسئول الثانى بعد الوالى . .

وفى عهد إسماعيل باشا أسند إليه فى عام ١٨٦٧م وكالة المجلس المخصوص وكان مجلسًا يضم خمسة عشر عضوًا من الأعيان وكبار الموظفين ويرأسه الخديو نفسه . وفى عام ١٨٧٥ تولى رئاسة مجلس شورى النواب ووقع عن الحكومة المصرية معاهدة إلغاء تجارة الرقيق عام ١٨٧٧م .

** وارتفع نجم شريف باشا عندما كلفه الخديو اسماعيل بتشكيل النظارة أى الوزارة فى إبريل ١٨٧٩ ولكن هذه الوزارة انتهت بخلع إسماعيل وتولية ابنه توفيق . ولكنه عاد إلى رئاسة الوزارة فى يوليو ١٨٧٩ وشغل بجانب الرئاسة وزارتى الداخلية والخارجية وهى الوزارة الدستورية الأولى فى تاريخ مصر ، لأنه بدأ فى وزارته هذه وضع أسس الحياة النيابة فى مصر وأنشأ مجلسًا نيابيا حقيقيا يشرف على الأمور المصرية . . وعندما وجد شريف رفضًا لذلك من الخديو توفيق استقال بعد شهر ونصف فقط . أى يوم ١٨ أغسطس ١٨٧٩ .

** واقترب شريف باشا أكثر من الجبهة الوطنية . وأصبح صديقًا للعرابيين الذين قادوا الثورة من أجل حياة كريمة لمصر والمصريين ، ورفضوا استمرار تغلغل النفوذ التركى ـ الشركسى فى أمور البلاد . ولذلك عندما نجح العرابيون فى إسقاط نظارة «وزارة» رياض باشا استدعى الخديو توفيق محمد شريف ـ بناءً على طلب العرابيين ـ لتشكيل الحكومة وهكذا نجحت الزعامة الشعبية الوطنية ـ لأول مرة ـ فى فرض مرشحها الوطنى العتيد صاحب المواقف الشريفة ضد التدخل الأوربى فى أمور مصر . . وشكل شريف وزارته الثالثة يوم ١٤ سبتمبر ١٨٨١ ليبدأ طريقًا متصلاً من أجل ترسيخ الحياة النيابية .

** وضع شريف باشا يده فى يد العرابيين ليقودوا مصر فى طريق الاستقلال والدستورية وتقليص دور القصر ، وعندما استدعاه الخديو توفيق ليشكل الحكومة بضغط من العرابيين كان من بين أهدافه « منع استمرار تدخل العسكريين فى شئون السياسة » عندما فكر شريف فى إخراج قادة الثورة العرابية : أحمد عرابى . على فهمى . عبد العال حلمى بقواتهم من القاهرة . بل واستجاب أحمد عرابى نفسه فخرج بقواته من العاصمة إلى منطقة رأس الوادى بين الإسماعيلية والسويس . . ووصل به الأمر أن بدأ يرفض بعض المطالب للعسكريين . وحاول شريف أن يجد صيغة التعاون والتوازن بين كل الأطراف ، فعين عرابى وكيلاً « لوزارة » الجهادية « الحربية » ولكن يبقى لشريف باشا فى هذه الفترة أن تم انتخاب أول مجلس لشورى النواب ـ على أساس دستور ١٨٦٦ ـ فى ديسمبر ١٨٨١ .

** وعندما رفض هذا المجلس حرمانه من حق مناقشة الميزانية حدث الشقاق بين شريف والعرابيين ، فقدم استقالته لتستولى الثورة العرابية على السلطة . . وبذلك شكل محمود سامى البارودى وزارته الأولى فى أعقاب استقالة شريف فى ٤ فبراير ١٨٨٢ . وكان البارودى وزيرًا للجهادية فى وزارة شريف الثالثة هذه . .

** وتصاعدت أحداث الثورة العرابية . . وتسارعت . وسارت الأمور نحو الانهيار . . وكان لابد من الإنقاذ . فتم استدعاء شريف باشا ـ فى محاولة للإنقاذ ـ لتشكيل الحكومة ، فشكلها فى ٢١ اغسطس ١٨٨٢ ولكن لم تنجح المحاولة واحتلت بريطانيا مصر . ولكن سرعان ما دب الخلاف بين شريف والسلطة الجديدة عندما حاولت بريطانيا إخراج مصر من السودان بحجة عجزها عن سداد أعباء استمرار قوات مصر هناك خلال الثورة المهدية .

ورفض رئيس النظار ـ الوزراء ـ شريف باشا مطلب الانجليز بإخلاء السودان . لأنه كان يرى فى هذا تهديدًا للحدود المصرية الجنوبية وردًا على المطلب الانجليزى اقترح شريف إرسال قوات مصرية جديدة إلى السودان « للسيطرة على نهر النيل . . لحماية الأراضى المصرية . . » إلا أن انجلترا رفضت وأصرت على إخلاء السودان من القوات المصرية .

واستقال شريف باشا يوم ٧ يناير ١٨٨٤ حتى لا ينفذ مطالب الانجليز بسحب الجيش المصرى من السودان وقال قولته المشهورة : « لو تركنا السودان . . فإن السودان لن يتركنا . . » ويذكرنا موقف هذا السياسى الوطنى بموقف مماثل للزعيم سعد زغلول عندما رفض سحب الجيش المصرى من السودان ـ عقب مصرع السيرلى ستاك عام ١٩٢٤ ، واستقال أيضًا حتى لا يوقع قرار سحب جيش مصر من هناك . . تمامًا كما يذكرنا بموقف مماثل للزعيم « مصطفى النحاس باشا » عندما قال قولته المشهورة . . «تقطع يدى ولا أوقع وثيقة تفصل السودان عن مصر . . » لتتحطم المباحثات النحاسية ـ الانجليزية .

وللأسف جاءت حكومة نوبار باشا لتنفذ للانجليز مطالبهم ويسحب جيش مصر من السودان !

** ومسيرة شريف باشا مع الدستور طويلة ومجيدة . بدأها مع تشكيل حكومته الأولى ـ إبريل ١٨٧٩ ـ ثم واصلها مع حكومته الثانية ـ يوليو ١٨٧٩ ـ فعكف على إعداد اللائحة الأساسية للحياة النيابية . ولائحة الانتخاب .

ولكن الخديو توفيق ـ لم يكن راغبًا فى المضى فى إنشاء حياة نيابة دستورية كاملة بل وأيدت بريطانيا وفرنسا توفيق فى هذا الرفض . ورغم هذا . نجح شريف فى تحويل مجلس شورى النواب الذى كان قائمًا بالفعل إلى جمعية تأسيسية لإقرار هاتين اللائحتين . ثم رفع شريف طلبًا للخديو توفيق طالبًا تصديقه على اللائحتين إلا أن الخديو توفيق رفض ذلك يوم ١٨ أغسطس ١٨٧٩ فقدم شريف استقالته على الفور بعد شهر ونصف من تشكيلها . . فقد كان شريف يأمل فى تكوين مجلس نيابى حقيقى يتولى الإشراف على كافة أمور الأمة المصرية . .

** المهم أن شريف باشا بعد أن رفض الخديو توفيق اصلاحاته الدستورية سافر إلى فرنسا . . وهو نفس المسلك الذى اتخذه حتى يبعد عن الأمور التى رآها تتدهور .

وفى عام ١٨٨٤م توفى شريف باشا عن عمر ٧٢ عامًا . بعد أن عانى كثيرًا من رفض أفكاره الإصلاحية . . ومن هنا لم تحاول حكومات ما بعد يوليو ١٩٥٢ تغيير اسم

الجنرال سليمان باشا الفرنساوى أو كولونيل سيف الضابط الفرنسى الذى أنشأ أول كلية حربية فى مصر وكان الساعد الأيمن للقائد إبراهيم باشا ، وهو الجد الأكبر للملك فاروق .

ميدان سليمان باشا كما كان يبدو عام ١٨٩٨ ، ويتوسطه تمثال سليمان باشا قبل رفعه .

ميدان طلعت حرب [ميدان سليمان باشا سابقا]

كما يبدو الآن بعد رفع تمثال سليمان باشا ووضع تمثال طلعت حرب مكانه .

شارع شريف وسط هوجة تغيير الأسماء ، اعترافًا بفضل شريف باشا الذى كان فعلاً مصلحًا دستوريا . . بل كان بحق أبو الدستور المصرى ، كما كان مدحت باشا فى تركيا قبيل ثورة أتاتورك .

** تلك هى حكاية شارع شريف باشا . . فهل يعرفها كل من يمشى الآن فى هذا الشارع وهو يتجول ليشترى بنطلونا أو قميصًا من أحد محال هذا الشارع العتيد ؟!

الكولونيل سيف .. أو سليمان باشا الفرنساوى !

جاء إلى مصر ضابطًا فرنسيا مغمورا ولكنه عاد إلى فرنسا ـ زائرًا ـ بعد ٤٠ عامًا وهو أمير يحمل رتبة اللواء . . بعد أن أنشأ جيش مصر الحديث أيام محمد على ، وخاض كل حروب مصر بجوار القائد ابراهيم فى المورة والشام والأناضول . قال عنه محمد على : لقد خرج سليمان من صلبى وكأنه أحد أبنائى فكان يرد قائلا : أحببت فى حياتى ثلاثة رجال هم أبى ونابوليون . . ومحمد على . . إنه سليمان باشا الفرنساوى الذى أصبح شارعه أشهر شوارع وسط القاهرة : شارع سليمان باشا . . وكان تمثاله يتوسط الميدان الذى حمل نفس الاسم : سليمان باشا . .

** هو الكولونيل أوكتاف جوزيف انتلم سيف الذى ولد فى مدينة ليون الفرنسية عام ١٧٨٧ م . ولأنه كان مغرما بالعسكرية التحق وعمره ١٧ عامًا بالبحرية الفرنسية ليصبح ضابطًا بالمدفعية البحرية بعد خمس سنوات . وخدم فى الأسطول الفرنسى واشترك فى معركة الطرف الأغر وعمل بجيش نابليون حتى انسحب من موسكو واشترك فى معارك المائة يوم دفاعًا عن امبراطوره .

وبعد معركة ووترلو طرده لويس الثامن عشر من الجيش بعد هزيمة نابليون فاستأجر مزرعة فى الريف الفرنسى ولكنه سرعان ما شده الحنين إلى العسكرية .

حاول أن يلتحق بالجيش الفارسى وبينما هو فى الطريق إلى فارس مر بمصر عام ١٨١٩ فالتقى بواليها محمد على باشا الذى أعجب به وأسند إليه تكوين جيش مصرى على الأسس الأوربية الحديثة . ولأنه أوربى مسيحى رفضه الجنود ولكن شجاعته غفرت له . .

** سلمه محمد على ١٠٠٠ من مماليكه ومماليك رجاله ، وأرسله إلى أسوان عام ١٨٢٠ لتكوين نواة الجيش المصرى الحديث . فأنشأ الكولونيل سيف هناك أول مدرسة للضباط ودام تدريبه لهم ثلاث سنوات حتى أصبحوا أول دفعة من الضباط كانوا نواة جيش مصر العظيم الحديث ، بعد أن كان الجيش يعتمد على المماليك والجنود الأرناؤوط وبقايا الانكشارية .

واعتمد « سيف » على الأسلوب الفرنسى ـ الأوربى فى إعداد هذا الجيش . وقد اختار محمد على أسوان لتكون مقرًا لأول مدرسة حربية فى مصر ، حتى تكون بعيدة عن دسائس القاهرة . وبعيدًا عن سلوكياتها .

** أسلم الكولونيل أوكتاف أنتلم سيف واختار له محمد على اسمًا عربيًا هو «سليمان » ومنحه لقب « بك » وزوجه من إحدى بنات أسرته واسمها « مريم » ومنها أنجب ولدًا واحدًا هو اسكندر ومن المؤكد أن الأب « العسكرى » الذى كان ميهورًا بعسكرية الاسكندر الأكبر والأم ذات الجذور اليونانية « قولة الآن فى اليونان وهى مهبط أسرة محمد على ، ولهذا أطلق على وحيده اسم «اسكندر » كما أنجبا ثلاث بنات : نازلى وأسماء وزهرة . وتزوج من الأولى محمد شريف الذى أصبح بعد ذلك رئيسًا لوزراء مصر.

ومن نازلى هذه أنجب شريف ابنته توفيقه هانم التى تزوجها عبد الرحيم باشا صبرى الذى كان محافظًا للقاهرة ويحمل أحد شوارع الدقى اسمه وفيه قصره الكبير الذى تحول مع حديقته إلى « أكاديمية ناصر العسكرية العليا » وقد أنجب عبد الرحيم من توفيقة ولدين أولهما شريف باشا صبرى الذى أصبح وصيًا على عرش فاروق عام ١٩٣٦ ، وحسين صبرى الذى أصبح محافظًا للاسكندرية . . ثم نازلى « الثانية » التى تزوجها السلطان فؤاد قبل أن يتغير لقبه ـ بعد الاستقلال ـ ليصبح ملكا لمصر ـ ومن نازلى هذه أنجب الملك فؤاد ابنه الوحيد فاروق يوم ١١ فبراير ١٩٢٠ الذى أصبح ملكا لمصر . .

** ونعود للكولونيل سيف الذى أصبح اسمه « سليمان . . الفرنساوى » فنعرف أنه اشترك فى حرب المورة « اليونان » بجانب القائد إبراهيم باشا عام ١٨٢٤م لمساعدة

سلطان تركيا محمود . وفى عام ١٨٣٤ منحه محمد على لقب باشا تقديرًا لخدماته . .

** وعندما أخلف سلطان تركيا وعده لمحمد على انطلق جيش مصر إلى الشام بقيادة إبراهيم باشا وأركان حربه سليمان الفرنساوى ليحققا لمصر أعظم انتصارات عسكرية ضد السلطان العثمانى ليأخذ محمد على بسيفه ما رفض أن يمنحه السلطان فأنزل جيش مصر هزائم متتالية بجيش الامبراطورية العثمانية فى نصيبين وكوتاهية وغيرها . .

وأنزل جيش مصر بقيادة إبراهيم باشا ومساعده أركان حربه سليمان باشا الفرنساوى ضربات موجعة بجيش السلطان العثمانى حتى تم تدميره تمامًا وأصبح جيش مصر هذا على بعد ٥٠ فرسخًا من عاصمة الامبراطورية العثمانية استانبول أو الاستانة . .

وبعد المؤامرة الأوربية التى اتحدت كلها ضد مصر وجيش مصر ، وانتهت إلى تحطيم آمال محمد على فى تكوين امبراطورية عربية إسلامية تنعش الجسد الإسلامى . . بعد هذا دعت فرنسا القائد العظيم ابراهيم باشا لزيارتها ، فاصطحب معه سليمان باشا « الفرنساوى » وشهدت « ساحة مارس » فى باريس أكبر عرض عسكرى فرنسى منذ عهد نابليون الأول حضره أمراء وأميرات فرنسا وستون جنرالاً . وكان هذا احتفاء غير مباشر بابنها الضال « على رأى الدكتور ثروت عكاشة فى كتابيه الرائعين ـ مصر فى عيون الغرباء ـ وذلك بعد ٤٠ عامًا . فقد تلقفته مصر وهو برتبة متواضعة وأعادته وهو أمير برتبة اللواء . . »

** ولقد عينه محمد على باشا « رئيسًا عامًا لرجال الجهادية » أى الجيش المصرى وهذا المنصب يعادل الآن منصب وزير الدفاع ولكفاءته احتفظ بهذا المنصب طوال عهود وحكم أربعة ولاة هم : محمد على وابراهيم وعباس وسعيد . .

** وتوفى سليمان الفرنساوى يوم ١١ مارس ١٨٦٠م ودفن فى مصر القديمة فى المنطقة التى يعرفها العامة والخاصة الآن باسم « الفرنساوى » نسبة لهذا القائد العظيم ، الذى رتب الخديو إسماعيل ١٨٧٥ معاشًا شهريًا لأرملته اعترافًا بفضله .

وفى هذا الموقع الآن فى مصر القديمة . بعد مدرسة الفسطاط الثانوية وغير بعيد عن

شارع عمرو بن العاص يرقد جثمان سليمان الفرنساوى تحت قبة خشبية عليها سور من حديد . . ثم مسجد متهدم يحمل اسمه ثم شارع يحمل نفس الاسم وان كان شارعًا صغيرًا . .

** وفى الوقت الذى حفظ فيه الشعب اسم سليمان باشا على شارعه وميدانه الصغير ومقبرته وحيه فى مصر القديمة ، نجد العسكر يرفعون تمثاله ليضعوا مكانه تمثالاً للاقتصادى المصرى الكبير « طلعت حرب » . ويطلقون على الشارع والميدان اسمه ، وكان الأجدر الإبقاء على اسم وتمثال سليمان باشا فى موقعه ، على أن يطلق اسم طلعت حرب ويوضع تمثاله فى الشارع الذى ارتبط باسمه عندما أنشأ بنك مصر !

** ولنا اقتراحان نقدمهما لوزير الدفاع المصرى والقائد العام للقوات المسلحة . أولهما ترميم قبة وقبر هذا القائد العظيم : سليمان الفرنساوى الذى شرب من ماء النيل وخاض معارك مصر العسكرية التى وضعت جيش مصر فى مصاف الجيوش الكبرى طوال عصر محمد على باشا وما بعدها . .

والثانى إعادة تنصيب التمثال الذى رفعوه من قاعدته فى ميدان سليمان باشا وسط القاهرة . . وإعادة تنصيبه فى أكبر شارع عسكرى فى مصر هو شارع الخليفة المأمون حيث معظم المبانى العسكرية المصرية والمستشفيات العسكرية وحيث مقر وزارة الدفاع المصرية . وأن ترفع « الخيش » الذى يغطى التمثال المهمل الآن داخل احد مبانى هذا الشارع الكبير . . إحياءً للعسكرية المصرية واعترافًا بفضل الرجل الذى يضم تراب مصر جسده حتى الآن . .

نقول هذا ونحن نضيف أن المعهد الثقافى الفرنسى يحتفظ بتمثال نصفى لسليمان داخل حديقته فى شارع على يوسف فى المنيرة ونضيف أن فرنسا وضعت تمثال بطلها العظيم فى الحرب العالمية الأولى المارشال جوفر أمام الأكاديمية العسكرية فى باريس .

نوبار باشا الأرمنى .. أول رئيس وزراء .. خائن أم مصلح ..؟!

اختلفت حوله الآراء . منهم من قال إنه أحد الذين باعوا مصر للأجانب ، بل كان ينفذ سياستهم لحلب البقرة الحلوب حتى انتهت مصر إلى الوقوع فى خبة الديون ،

وبالتالى الاحتلال البريطانى . ومنهم من وصفه بأنه أول من نادى بأن « مصر للمصريين » ، وأنه كان مصلحًا دستوريًا ، وأنه كان وراء إلغاء السخرة ، وكان وراء تنظيم المحاكم فى مصر حتى أخضع الأجانب المقيمين فيها للقضاء ، حتى ولو كان . . القضاء المختلط !!

عاش وعمل مع سبعة حكام فى مصر أولهم محمد على باشا الكبير ثم إبراهيم باشا والوالى عباس الأول ثم الوالى محمد سعيد باشا والخديو إسماعيل ثم الخديو توفيق وأخيرا عباس حلمى الثانى ، آخر خديو لمصر قبل أن تصبح سلطنة ثم مملكة !! أى هو رجل عاش تاريخ مصر الحديثة منذ النهضة الكبرى على يد محمد على . . إلى الكبوة الكبرى . من عصر البناء إلى عصر الاحتلال والمعاناة .

** اسمه نوبار نوبريان . . أرمنى الأصل تركى مسيحى ، ولد فى إحدى القرى الأرمينية فى أرمينيا السوفيتية سابقًا يوم ٤ يناير ١٨٢٥م . هاجر إلى أزمير مع أسرته . والتحق والده فى خدمة محمد على باشا والى مصر الذى عينه معتمدًا سياسيًا له فى الأناضول أى سفيرًا . ثم سفيرًا له فى باريس . كما تم تعيين شقيق نوبار سكرتيرًا خاصًا ومترجمًا لمحمد على .

تعلم فى مدرسة بروتستانتية فى جنيف . ثم فى فرنسا وأتقن اللغات الفرنسية والانجليزية واليونانية ثم التركية . ولكنه لم يكن يتقن العربية الفصحى وإن تحدث بالعامية ، بعد ذلك . .

** استدعاه من باريس خاله بوغوص بك يوسفيان الذى كان أحد قادة الجنود الأرناؤوط ، ثم تولى مسئولية العلاقات الخارجية للوالى محمد على ووصل نوبار إلى مصر عام ١٨٤٢م وكان عمره وقتها ١٧ عامًا . وتدرج فى العمل مترجمًا فى ديوان محمد على ثم أصبح سكرتيرًا خاصًا لولى العهد ابراهيم باشا فمديرًا للسكة الحديد والجمارك . . ثم وزيرًا للاشغال والخارجية حتى أصبح رئيسًا لنظار مصر . . رئاسة الوزراء » .

كشفت مذكراته أسرار مصر السياسية فى أخطر فترة من عمر مصر . وهى المذكرات التى قدم لها وعرضها الصديق الصحفى الكبير نبيل زكى . وقد انتهى نوبار من كتابتها

نوبار باشا أول رئيس وزراء لمصر وهو أرمنى الأصل وأخلص لها . .
أبقت ثورة يوليو ١٩٥٢ اسمه على شارعه بالقاهرة تخليدا لدوره .

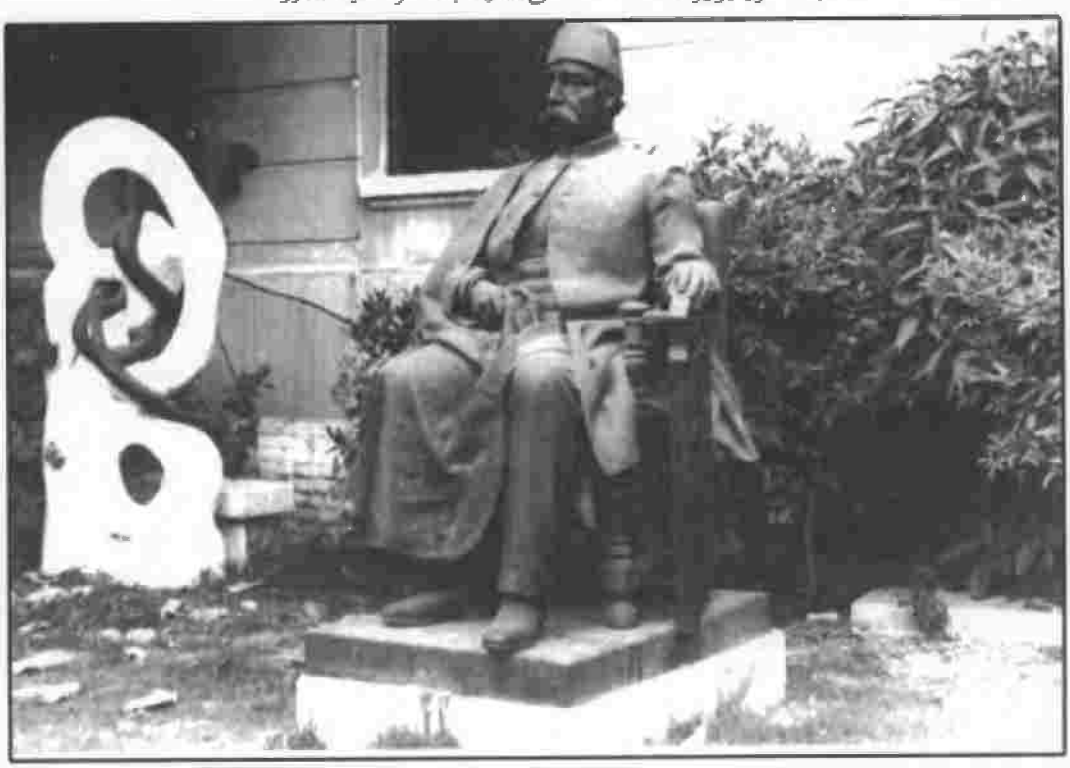

تمثال نوبار باشا . . يوجد حاليا بحديقة كلية الفنون الجميلة بالاسكندرية
بعد نقله من الحديقة العامة بالاسكندرية .

عام ١٨٩٤ أى قبل وفاته بخمس سنوات ، ولكنها لم تخرج للنور إلا بعد حوالى ١٠٠ عام وقدمتها أخبار اليوم فى كتاب عام ١٩٩١ . ويقول عنه نبيل زكى : إنه كان أكفأ موظف مصرى طوال عهود هؤلاء الحكام السبعة وإنه خاض معركة الامتيازات الأجنبية التعسفية التى فرضت على مصر بسبب تخبط سياستها المالية ، كما كان من رجال الإصلاح القضائى بهدف وضع الجميع سواسية أمام القضاء ، بعد أن كانت الدول الأجنبية تفرض حمايتها على رعاياها ولا يحاكمون أمام القضاء المصرى . . أى أنه صاحب فكرة المحكمة المختلطة التى نجح مصطفى النحاس فى إلغائها من خلال إلغاء الامتيازات الأجنبية طبقًا لاتفاقية مونترو التى وقعت عام ١٩٣٧ وانتهت هذه المحاكم المختلطة فعليًا فى مصر عام ١٩٤٩ وهى التى تأسست عام ١٨٦٧ .

** وإذا كان نوبار قد عاش مقدمات نهب ثروة مصر وخرابها ثم احتلالها إلا أنه كان أحد الأقطاب الذين حاولوا نقل الحضارة الأوربية لمصر ، ولكنه انتهى إلى أن أصبح ضحية للأوربيين ، حتى إن الخديو إسماعيل نفاه إلى فرنسا !! رغم أنه كان وراء إلغاء السخرة من مصر . وخاض معركة شرسة لتحقيق ذلك حتى تم إلغاء السخرة نهائيًا عام ١٨٩٠ . وكان يرى أن محمد على باشا هو مصر ذاتها وهو النيل وعندما مات وصفه قائلاً : بموت محمد على اختفت العبقرية التى كانت توجه مصر . . » .

** بدأ نجم نوبار فى الصعود إلى المناصب العليا فى عهد الخديو إسماعيل عندما استدعاه الخديو ليكون أول رئيس وزراء فى تاريخ مصر الحديثة عام ١٨٧٨ . وتم هذا فى غرة رمضان ١٢٩٥ هجرية الموافق ٢٨ اغسطس ١٨٧٨م . وكانت أول نظارة فى مصر « وزارة » تضم سبع نظارات فقط لا غير وصدر الأمر العالى من إسماعيل إلى نوبار باللغة الفرنسية !! وضمت الوزارة الأولى وزارت الخارجية والحقانية، « العدل » الداخلية والجهادية « الحربية » والأوقاف والمعارف والأشغال ، وتولى نوبار وحده بجانب الرئاسة وزارتى الخارجية والحقانية وتولى على باشا مبارك ثلاث وزارات هى المعارف والأشغال والأوقاف . أى أن أول وزارة فى مصر كانت تضم أربع شخصيات فقط بما فيهم . . رئيس الوزراء !!

وفى الوزارة الأولى ترك المالية شاغرة . وأسند الأشغال « بالنيابة » إلى على باشا مبارك

محمد لاظ أوغلى بك . . كتخدا مصر [أى نائب محمد على]
وصاحب الشارع والتمثال والميدان المعروفين باسمه .

. . وسرعان ما دخل الوزارة وزيرًا للمالية الانجليزى ويلسون . . ووزيرًا للأشغال هو الفرنسى بلنير ليصبحا أول وزيرين أوربيين فى حكومة مصر . ولكن سرعان ما تستقيل حكومة نوبار فى ٢٣ فبراير ١٨٧٩ فى أعقاب مظاهرة الضباط المصريين الأولى ، بسبب عدم صرف رواتبهم لعشرين شهرًا . وكانت هذه المظاهرة يوم ١٨ فبراير ١٨٧٩ .

** ولكن بعد استقالة حكومة شريف باشا الذى رفض إخلاء السودان من الجيش المصرى ، استدعى الخديو توفيق نوبار باشا فى ظل الاحتلال الانجليزى ليشكل وزارته الثانية فى ١٠ يناير ١٨٨٤ ويظل رئيسا للوزراء حتى ٩ يونية ١٨٨٨ ، وفيها يقبل انسحاب جيش مصر من السودان ويقبل التعاون مع الانجليز إلى أن يقيله الخديو توفيق ، فيسافر إلى فرنسا . ولكنه يعود إلى الحكم فى عهد الخديو عباس حلمى الثانى ليتولى رئاسة الوزارة عام ١٨٩٤ لمدة عام وبضعة أشهر ، ثم يقدم استقالته فى ١٢ نوفمبر ١٨٩٥ ويغادر مصر . . ليذهب إلى فرنسا ويقيم فيها إلى أن يموت فيها بعد خمس سنوات . وبالضبط يوم ١٤ يناير ١٨٩٩ .

** ولم يكن نوبار الأرمنى الوحيد الذى لعب دورًا فى تاريخ مصر . . بل هناك يوسف بوغوص بك . ولم يكن اختيار أرمنى أو قبطى كرئيس للوزراء فى مصر - وقتها - يتم لاعتبارات التمثيل الطائفى ، بقدر ما كان هذا يتم لاعتبارات فنية وتاريخية ، وكفاءة إدارية . . وكان نوبار بحق أكفأ « موظف مصرى » طوال سبعة عهود من أسرة محمد على باشا . ولم يكن نوبار قائد ثورة أو زعيمًا وطنيًا شعبيًا ، ولكنه كان من الأقطاب الذين حاولوا نقل الحضارة الأوربية لمصر . .

** وربما لهذا السبب تم اختيار هذا الشارع الذى يحمل اسم نوبار إلى الآن فى قلب منطقة الوزارات فى القاهرة .

فشارع نوبار هذا يبدأ من باب اللوق ، من أول شارع شريف جنوب وزارة الأوقاف عند تقاطعه مع شارع البستان . ثم يتقاطع شارع نوبار مع شوارع : الشيخ ريحان ومجلس الشعب وإسماعيل أباظة ومحمد عز العرب لينتهى عند دار الهلال . . وبالتالى فإن شارع نوبار الذى يسير موازيًا لشارع منصور تمامًا يمر بأهم وزارات مصر ، وهى الداخلية ثم المالية والعدل ويعبر ميدان لاظ أوغلى اليد اليمنى للوالى محمد على باشا

. . وليس غريبًا أن يحتل اسم نوبار شارع الدواوين ، والدواوين هو الاسم الأوّلى أو الأصلى للنظارات . . أو الوزارات . وهذا يدل على أهمية هذا الرجل الذى أصبح أكفأ موظف مصرى فى القرن الماضى كله ، بدليل أن أحدًا لم يفكر فى تغيير اسم شارع نوبار هذا ، رغم أنه لم يكن مصريًا . بل كان أرمنيًا جاء من أرمينيا السوفيتية السابقة التى أصبحت إحدى جمهوريات هذه الامبراطورية المترامية الأطراف . . وربما كان وصول نوبار إلى أعلى منصب فى مصر وهو رئاسة الوزارة وراء وصول الآلاف من الأرمن إلى أرض مصر هروبا من الاضطهاد الذى تعرضوا له بعد ثورتهم الكبرى فى الربع الأول من القرن التاسع عشر . . فهاجروا كما هاجرت أسرة نوبار إلى تركيا وبالذات إلى أزمير فى تركيا .

** وإذا كانت مصر قد أبقت اسم نوبار على واحد من أهم شوارع القاهرة ـ الحكومية ـ غير بعيد عن مقر مجلس الوزراء الحالى ومجلس الشعب وأهم وزارات مصر . . إلا أنه فى نوفمبر ١٩٦٦ صدر قرار فى عهد جمال عبد الناصر بإزالة تمثال نوبار باشا الذى كان يصوره وهو جالس وعلى رأسه الطربوش التركى الشهير بشاربه الكث ، وكان التمثال صامدًا فى حديقة عامة بالاسكندرية منذ تم تركيبه عام ١٩٠٣ وتم وضع التمثال فى فناء متحف غير مشهور بالاسكندرية ليسدل الستار على أول رئيس وزراء لمصر . . وينتهى عصر نوبار الرجل الذى ارتبط اسمه بالمحاكم المختلفة فى مصر . .

امبراطور .. رفض الملك تعيينه وزيراً

هو امبراطور حقيقى أعلن الاستقلال ـ ليس عن وطنه الأم مصر ـ ولكن عن السلطة الانجليزية التى تحتل وطنه . لم يكن تمردًا . بل كان ثورة حقيقية بدأت فى كلية الحقوق عندما كان طالبًا بها . . فقد فصلوه منها عندما تظاهر خطيبا رافضًا لإعلان بريطانيا حمايتها على مصر فى بداية الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ . . ولكنه عاد ليكمل دراسته ويفتتح مكتبًا للمحاماة فى المدينة الصغيرة ميت غمر ، التى لا يفصلها عن المدينة المواجهة لها ـ زفتى ـ إلا نهر النيل . .

وعرفه بيت الأمة ـ بيت سعد زغلول ـ خطيبًا ، كما عرفه محل جروبى الشهير مناقشًا شرسًا منذ ذهب سعد وشعراوى وعبد العزيز فهمى إلى المعتمد البريطانى يوم ١٣ نوفمبر ١٩١٨ يطلبون لمصر الاستقلال . .

وعندما اندلعت الثورة الكبرى يوم الأحد ٩ مارس ١٩١٩ كان فى قلب أحداثها . وراء زعيمه سعد باشا زعيم الأمة وهى الثورة التى اشتعلت فى كل مكان ، كما التهبت فى القاهرة ، واشترك فيها المثقفون والسائقون . . العمال والطلبة . . أولاد البلد والسيدات بالحبرة واليشمك التركى ! وسقط أول شهيد فى السيدة زينب . . مجهول الاسم والعنوان وكأنه أراد أن يصبح رمزًا لمصر الثورة . .

** انطلق الامبراطور ، بطل شارعنا اليوم ، يوسف الجندى إلى بلدته زفتى ليكوّن لجنة للثورة من الأعيان والأفندية وصغار التجار . . مسلمين ومسيحيين . واتخذ قاعة كبيرة فوق قهوة مستوكى اليونانى العجوز لتصبح مقرًا « لمجلس قيادة الثورة » ويقرر المجلس قطع سلطة المدينة بالسلطة العليا فى القاهرة ، السلطة المحتلة التى يوجهها

الانجليز . ويقرر المجلس أيضًا الاستيلاء على « مركز البوليس » رمز السلطة فى أى مدينة أو قرية ، ويزحف المحامى الشاب : رئيس مجلس قيادة الثورة إلى المركز على رأس الثوار المسلحين بالبنادق والفؤوس والعصى وأغصان الأشجار . وينفعل معهم ويتفاعل إسماعيل أحمد « مأمور المركز » وأحمد جمعة معاونه ويسلمان المركز للثوار ، ويتحول المأمور إلى مستشار للدولة الجديدة ، التى استولت على السكة الحديد والبوستة والتلغراف . وتنشىء الدولة الجديدة نظامًا للضرائب يقوم على التبرعات ويصف الصحفى الكبير أحمد بهاء الدين أسرار هذه الثورة فى فصل بعنوان « امبراطورية زفتى » فى كتابه الذى صدر عام ١٩٥٤ بعنوان « أيام لها تاريخ » فيقول إن الدولة الجديدة بدأت عملها بتشغيل العمال حتى لا يتحولوا إلى النهب فأصلحوا الجسور وردموا البرك والمستنقعات وأنشأت كشكًا للموسيقى على ضفة النيل لتعزف فيه الموسيقى .

** وفى مطبعة محمد أفندى عجينة يتم طبع منشورات الثورة وقراراتها لتوزع على الناس . وتحركت سلطة الاحتلال الانجليزى فأرسلت فرقة استرالية مسلحة لإخماد الثورة . . ونشرت « التايمز » أشهر صحف بريطانيا خبر استقلال زفتى « التى رفعت علمًا جديدًا !! وانضمت إلى زفتى ميت غمر وميت القرشى وما حولها من قرى » .

** ووصلت القوة الاسترالية إلى مشارف زفتى . وتوسط المأمور . وطلبت القوة تسليمها عشرين من الثوار لتجلدهم . وهنا يظهر الذكاء الفطرى للمصرى . فقد كان المأمور يفتح خطابات الخونة الذين حاولوا التنصل من الثورة . . واتفق الثوار على تسليم عشرين من هؤلاء الخونة للقوة الاسترالية . . وهكذا كما قال بهاء الدين : جلد الانجليز عملاءهم ونجا قواد الثورة ، زعماء امبراطورية زفتى !

** وحاولت القوة القبض على زعيم الثورة يوسف الجندى ولكنه هرب إلى دمياط ثم ظهر فى القاهرة بعد ١٥ يومًا ليواصل خطبه وثوريته .

وإذا كانت قهوة مستوكلى ـ مقر قيادة الثورة ـ قد هدمت ونسى الناس كشك الموسيقى إلا أن التاريخ حفظ حكاية امبراطورية زفتى وقائدها يوسف الجندى .

** فقد تلقف بربرى مصر الوحيد « على الكسار » الحكاية وحولها إلى مسرحية

حسين رشدى باشا رئيس وزراء مصر خلال ثورة ١٩١٩ .

شدت الناس إلى المسرح . . كما أطلقت حكومة الوفد اسم يوسف الجندى زعيم ثورة زفتى على شارع يخرج من باب اللوق ويمتد خلف الجامعة الأمريكية موازيًا لشارع محمود باشا الفلكى وسط عدد من أهم المدارس الأجنبية فى مصر .

** ولقد كان للقصر الملكى موقف متشدد ضد يوسف الجندى بسبب إعلانه استقلال زفتى وميت غمر عن حكم أسرة محمد على . . وهذا رفض القصر مرارًا أن يصبح الثائر القديم . . وزيرًا فى أى حكومة مصرية . . ولكن مازال اسمه باقيًا محفورًا فى عقل الأمة وعلى واحد من اهم شوارع وسط العاصمة المصرية .

من ساحة لسوق الحمير .. إلى شارع رشدى باشا :

ونحن نتحدث ونروى حكايات باب اللوق والشوارع الخارجة منه والداخلة إليه نروى اليوم حكاية شارع رشدى . . السياسى الذى كان رئيسًا لوزراء مصر فى أخطر فترات حياتها الحديثة ، بين الحرب العالمية الأولى . . واندلاع ثورة الشعب سنة ١٩١٩ . .

** قبل أن يحمل هذا الشارع اسم حسين باشا رشدى كان « ساحة » للحمير كما قال على باشا مبارك فى الخطط التوفيقية ، إذ كان يُنصب فيها سوق كل يوم بعد صلاة العصر تباع فيه الحمير . ثم تحول إلى شارع الساحة . . إلى أن تغير الاسم إلى شارع رشدى باشا تخليدًا لذكرى هذا السياسى . .

وهذا الشارع يبدأ من شارع عبد العزيز عند محلات عمر أفندى ثم شارع الجمهورية ـ ابراهيم باشا سابقًا ـ عند المبنى الضخم الفخم لمحكمة عابدين ذات الأعمدة ، ويمتد إلى أن يتقاطع مع شارعى محمد فريد وجواد حسنى ، إلى أن يصل إلى شارع شريف أمام المبنى القديم لجريدة الأهرام ـ فى شارع محمد مظلوم باشا ـ الذى يصل بدوره إلى شارع صبرى أبو علم الوزير الوفدى القديم . . المهم أن شارع رشدى هذا كان من أهم شوارع وسط القاهرة بحكم دوره التجارى وأنه كان محورًا أساسيًا من محاور خطوط الترام فى القاهرة . .

** وحسين رشدى هو ابن محمود حمدى باشا طبو زاده . و « طبو » معناها سلاح

كالمضرب برأسه كرة من حديد بها نتوءات بارزة مدببة . وكان والده محافظًا للقاهرة ثم وكيلاً للداخلية . وتعلم حسين رشدى فى السوربون وحصل منها على شهادة الحقوق، وعاد ليفتتح مكتبًا للمحاماة ونال شهرة طيبة ثم عمل مفتشًا للغات ، ثم قاضيًا فى المحاكم المختلطة ، حتى أصبح ناظرًا أى وزيرا للمالية فى حكومة بطرس باشا غالى ١٩٠٨ ثم وزيرًا للخارجية فى حكومة محمد سعيد باشا الذى كان سعد زغلول وزيرًا للحقانية فيها فى فبراير ١٩١٠ .

** أصبح حسين رشدى ناظرًا للنظار ـ رئيسا للوزراء ـ يوم ٥ إبريل ١٩١٤ واحتفظ أيضا بوزارة الداخلية . وهى النظارة التى ضمت كوكبة من أقطاب السياسة المصرية : عدلى يكن للخارجية . عبد الخالق ثروت للحقانية . إسماعيل صدقى للزراعة . يوسف وهبه للمالية .

ومع إعلان الحماية البريطانية على مصر فى ١٩ ديسمبر ١٩١٤ أعاد تشكيل نظارته ـ بعد أن تغير الاسم ليصبح وزارة مع إعلان الحماية ـ وظل رئيسا للوزراء فى عهد السلطان حسين كامل ثم تولية السلطان فؤاد عام ١٩١٧ . وشكل وزارته الثالثة يوم ١٠ اكتوبر ١٩١٧ ، وظلت إلى ٩ إبريل ١٩١٩ أى هى الوزارة التى شهدت اندلاع ثورة الشعب الكبرى فى مارس ١٩١٩ بقيادة الزعيم سعد زغلول .

** وللتاريخ فإن حسين رشدى باشا كانت له مواقف وطنية عظيمة ، فقد قدم مذكرة للانجليز يطلب فيها « إيجاد جنسية مستقلة للمصريين » أى طلب تحديد «هوية للمصريين وجواز سفر . . » إلا أن بريطانيا ردت فى يوليو ١٩١٧ بأن هذا الطلب سيكون محل الاعتبار بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى .

وعندما انتهت الحرب تقدم هو وعدلى يكن يطلبان السفر إلى لندن لبحث المستقبل السياسى لمصر ، إلا أن بريطانيا رفضت متعللة بأن الوقت غير مناسب ، تمامًا كما رفضت طلب سعد زغلول ورفاقه لتثور قضية سفر وفدين أحدهما رسمي حكومى . . والثانى شعبى يمثل الثورة الجديدة . . الوفد وسعد ورجاله . .

** شكل حسين رشدى وزارته الرابعة من ٩ أبريل إلى ٢٢ منه فقط لتكون حكومة

تهدئة ولهذا ضمت أقوى شخصيات سياسية فى عصرها : عدلى وثروت وجعفر والى ويوسف وهبة ومدحت يكن ، ولكنها فشلت لتستقيل بعد أيام من تشكيلها .

وبعد تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ عين رئيسًا للجنة الدستور . ثم أصبح رئيسًا لمجلس الشيوخ عام ١٩٢٦ . . وتوفى عام ١٩٢٨ .

** وكان بيته يقع فى شارع محمد سعيد باشا « حسين حجازى حاليًا » والذى يتفرع من شارع قصر العينى . وهو الشارع الذى كانت فيه دار روز اليوسف القديمة منذ العشرينيات . .

ولكن للأسف مازال بعض العامة يتمسكون بالاسم القديم للشارع . . ألا وهو شارع : الساحة !!

صورة من الجو لميدان التحرير على يساره المجمع وبداية حى جاردن سيتى ، تتوسطه القاعدة التى كان سيوضع عليها تمثال إسماعيل باشا .